

كلمات

في شموخ إنسان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الطبعة الأولى

١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م

حقوق الطبع محفوظة

نشر وتوزيع

الأمن

جدة

هاتف: ٢٦٨٧٧٠١٤ ٩٦٦ + جوال ٥٥٤٢٤٢٧١٩ ٩٦٦ +

# كلمات

في شموخ إنسان

وبعالي بن صحنه العري



## فهرس العناوین



- ٧.....مقدمة
- ١١.....عبد العزیز بن باز.. وإجماع الحب
- ١٦.....العالم الفقیه حسن آیوب
- ٢٢.....منیر الغضبان: فقیه السیرة وطیب المسیرة
- ٣١.....زهرة الدعاء.. فتحي یکن
- ٣٧.....في سبیل الله أبا بدر
- ٤٨.....عبد القادر الأرنأؤوط.. قرآن یمشي علی الأرض
- ٥٤.....مع قوافل الشهداء یا بطل فلسطين
- ٥٩.....العالم الرباني عمر الأشقر
- ٦٨.....فقیه الحجاز.. ناجي عجم



- د. السميط.. عندما تبسم عاليًا..... ٧٤
- وسبقنا الداعية المجدد طارق خياط..... ٨٤
- العلامة يوسف القرضاوي: صمام أمان الأمة..... ٩١
- عبدالله بن بيه.. جامع العلم والعمل..... ١١٣
- محمد الحسن الددو.. مشروع إمام..... ١٢٨
- محمد أحمد الراشد.. أمير البيان الدعوي..... ١٣٦
- خلدون الأحذب.. المعلم بحق..... ١٤٨
- سلمان العودة وحيوية المفكر..... ١٥٩
- د. راتب النابلسي.. العالم المستبصر في زمن المحنة..... ١٧٠

## مقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، القائل: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّمٍ﴾ [التوبة: ١٠٥].

والصلاة والسلام على رسوله محمد ﷺ، القائل: «أنتم شهداء الله في أرضه»، أما بعد:

فقد شاءت حكمة الله تعالى أن أكتب عن شخصيات عدة قابلتها في حياتي، يجمع بينهم خدمتهم لدينهم، وحرصهم على تماسك مجتمعهم، ونموّ مشاريعهم.

وقد كان لكل واحد منهم حقل أو حقول برز فيها، وعُرفَ بها، وغدثَ بصمةً بارزةً في حياته وبعد مماته.

هذا وقد غلب على كثيرين ممن يُترجمون للشخصيات أن يكتبوا عن الأموات خشية الفتنة للأحياء، إلا أن التعبير والوصف عن مشروعاتٍ لأحياء قادها أصحابها، وفكّر بحملها أربابها، هو من الأهمية بمكان، وعرضها والإشادة بها، هو من الدلالة على المعروف، وإشاعته بين الناس؛ مما يبث روح الاجتهاد، ونحن شهداء الله على خلقه في أرضه!

ونحن إذ نزكي البعض فإنما نزكيهم للناس ولا نزكي على الله أحدًا.

ثم إننا مهما وصفنا المشاريع الناجحة، والبرامج العملاقة التي آتت أكلها في الحياة، فإنها لن تكون صادقة وواضحة ما لم تذكر العقول التي رسمت تلك المشاريع، وبنّت بفكرها ومعالم شخصيتها خطوات النجاح لها.

ونحن اليوم نعيش عصرنا، وفي زمن المتغيرات والمحركات ما ليس بالإمكان أن نتكئ في ذكره على نماذج الأقدمين، وفكر الميتين فحسب!



إن هذا الكتاب ليس تأبينًا لشخصيات، أو سدًا  
لفراغٍ عنهم في المكتبات!

إن هذا الكتاب رسالة الحياة للأحياء..

إنه حديث عن شخصيات مضت، وأخرى باقية  
تنبض بالحياة وتعيش عصرها.

اختلفت زوايا الطرح بحسب المناسبة وروح  
القضية، إلا أن الجامع بينها أنها تبحث عن اللمسات  
التي أدت إلى علوِّ مكانتهم، وقوة مشاريعهم، حتى  
صار كلُّ منهم رمزًا بمشروعه.

ولعل القارئ لهذا الكتاب سيدرك أنني لم أكتب  
إلا عن شخصيات عاصرتها وقابلتها فحسب.

أملًا أن يكون هذا النوع من التراجم الحيّة  
نموذجًا للتركيز على ما نبغ فيه كل واحد منهم،  
واشتهر به بوصفه رمزًا في التجديد والإصلاح  
لا مجرد طرح السيرة الإنشائية، مع ذكر شيء منها  
اقتضاه المقام في بعضها..

وأما عن روح الكتابة وعاطفة لغتها فمختلفة،

فمقام الكتابة بعد موقف أو مشاهدة لمشروع شخصية حيوية حية، غير الكتابة بعد مشهد الوداع ونظرات الفراق لشخصيات سلّمت الراية ومهّدت الطريق!

والله أسأل أن يغفر لمن مضى، ويتقبل عملهم، ويرفعهم في عليين، ويجزيهم عن خدمة أمة سيد المرسلين ﷺ.

وأن يوفق الأحياء لأداء الأمانة، وحمل الرسالة، والنهضة بالأمة، وأن يختم لهم بالرضوان.

وأن يعيننا على تلمس خطى الجدّ والتجديد، والتصفية للمفيد، والسعي بقوة لما ينهض بأمّتنا في هذا العصر الجديد، على خطا السلف الصالحين، المستنيرين بوحى الكتاب والسُّنّة، والمجددين لروح الأمة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى اللهمّ وسلّم على حبيبنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

## المؤلف

في ٢٧ رمضان ١٤٣١هـ

## عبد العزيز بن باز.. وإجماع الحب



لو قيل إن هناك خمسة يُعدّون على أصابع اليد  
الواحدة عندهم كل مؤلفات هذا الشيخ، وكل ما قيل  
عنه في كتاب لكنت واحداً منهم!  
فلدي بفضل الله كل ما كُتب وكُتب عنه.

هذا الرجل أعجوبة زمانه، وهو نسيحٌ وحده!  
لا أعلم رجلاً في العقود الماضية أطبقت الدنيا  
على إمامته في كثير من الأمور العلمية والربانية  
والخيرية والحياتية مثل سماحته.

إنه مدرسة متكاملة، وجامعة متنقلة، وجمعيات  
عاملة في آن واحد.

إنه سماحة العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ.

بدأت اهتماماتي بفتاواه وأنا طالب في الابتدائي  
 أسمع لفتاواه (نور على الدرب) كل إثنين وجمعة.  
 وسُرَّ والدي بذلك كثيرًا، كلما أخبرته عما  
 سمعت.

وفي المتوسطة والثانوي أدمت فتاواه في  
 اليومين نفسيهما، وكنت أناقش فيها صحبي في  
 الفسحة الدراسية.

وجالسته كثيرًا عند زيارته لبيت عمي شقيق  
 والدي الشيخ داود العلواني في جدة.

وكم صفا لي الوقت للجلوس بجواره متحدثًا  
 معه، ومستمعًا إليه، ومتشرفًا بتقديمه الطعام سنوات  
 طويلة جدًا.

ومن أهم جلساتي الحاسمة معه بعد العشاء في  
 منزل عمي وكان بمفرده، فذكرت له ما قيل عن  
 الشيخ المحدث: عبد الرحيم الطحان، وما أشيع عنه  
 من أخبار منقولة بطرق غير صحيحة، وآراء لأئمة

بترت في سياق الاستشهاد، ففرح الشيخ بما أخبرته به. ثم بشرته بمشروعي الأضحى والأهم، وهو جمعي لكتاب فقهي على غرار (فقه السُّنَّة) لسماحته مجموع من كتبه ومجموع فتاواه، وما وقَّع عليه في فتاوى اللجنة الدائمة، ولكن أمر الله كان سابقاً فلم يَزِرْ جزأه الأول!

أعتقد أن شهرة الرجل وقبول الناس له تغنيك عن التعريف بمزاياه، وقصصه العجيبة.

لكني ألفت النظر هنا إلى جوانب ثلاثة لم يستفد منها كثير ممن أحبه والتزم طريقته، مع الأسف الشديد!!

**أولاً:** أن الرجل كان على علاقة ممتدة وقوية مع كل المنتمين إلى ساحات العمل الإسلامي المختلفة، يعطيهم ثقته، ويقويهم بنفوذه وإمكاناته، ويبادلهم نصيحته، ويقبل نقدهم، وهذا وسَّع دوائر اهتمامه بهم، واهتمامهم به، ولم يسر على طريقته هذه إلا أندر النادر!!

**ثانيًا:** أن الرجل لا يقول إلا ما يقتنع به؛ لذا فقوله مقنع للكثير، وقد يُسخط قوله البعض.

فإن رأى رأي الحكومات سديدًا وقف معهم وأيدهم، رضي من رضي وسخط من سخط، وإن رأى منهم خللاً كتب إليهم وناصحهم بالحق.

وهذه الصفة لم يأخذها منه إلا أندر النادر!!

**ثالثًا:** أن عطاء الرجل الواضح، وصدقه الظاهر ماثل أمام كل الأعمال.

فهو لا يمنع عطاء عن أحد، ولا يحرم نفسه من فعل الخير مع كل أحد، وهو واضح مع نفسه، صادق في دعوته، عابد في تبتله.

وضوح سيرته وطريقته لم تدع مجالاً لأحد أن يتكلم.

صلواته في الجماعة، ودروسه اليومية، وذكره الدائم، وورعه عن مناصب الدنيا، وشفاعته التي لا تهدأ، وتواصله مع الناس الذي لا يسكن، كلها براهين واضحة ماثلة للعيان.

ومما وقفته مع نفسي، وتنفع الإشادة بذكره هنا، بعد معايشة حقيقية، وقراءة تامة لكل ما كتب، وتتبع دقيق لكثير من التفصيلات، أقول:

هناك مشاريع مهمة تنفع الدارسين في منهج حياة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمته الله:

**الأول:** فتاواه التي اشتهر بها، وهي تشمل اعتماده على الدليل، وتحرره من أي مذهب.

وسنجد أن الشيخ له آراء واجتهادات وفتاوى عجيبة، وتسامح كبير في أمور يُظن فيها التشدد من مثله، وهي كثرة كاثرة، تحتاج إلى جمع، ودارس مهتم.

**الثاني:** قناعاته وأسلوب دعوته مع الولاية والحكام والدعاة والمنتطعين والمتطرفين والعلمانيين المعارضين، ففيها جوانب تحتاج متابعة للأسلوب والطريقة خاصة أن فيها نتائج مبهرة، وجمعاً للكلمة، وحلاً لكثير من العقبات.

رحمه الله رحمة الأبرار، وجمعنا الله به مع النبيين الأخيار.

## العالم الفقيه حسن أيوب

في أسبوعين متتاليين فقدت مصر عَلمين بارزين، وشخصيتين مؤثرتين هما العالم الفقيه الرباني الشيخ: حسن أيوب، والمفكر الإسلامي الكبير: عبد الوهاب المسيري.

وقد تابعت القنوات والصحف نبأ وفاة د. المسيري، وتحدثت عن سيرته ومسيرته، إلا أن العالم الكبير الشيخ حسن أيوب رَحِمَهُ اللهُ لم أقرأ أيام وفاته أي خبر عنه لا في صحيفة إسلامية ولا في موقع إلكتروني بارز!

رحمك الله يا شيخ حسن، فقد رحلت في هدوء كهدوئك، رحلت بصمت لأنك كنت تعمل بصمت. وكم لله من حكمة!! فقد كنت أتحدث مع صديق

لي إعلامي ونحن في القطار من أشبيلية إلى غرناطة  
عن هذا العَلم الكبير إذ لم يسمع عنه من قبل!

وأخبرته أنني سأزور مصر في أول شهر شعبان  
من تلك السنّة ومن أعمالي هناك زيارة الشيخ حسن  
أيوب، ولما وصلت الفندق ليلاً أرسل لي أحد  
الإخوة من مصر خبر وفاته، فلما توثقت من الخبر  
قال لي: بادرتك بالخبر لأنني أعرف مكانته عندك.

إي والله، إن للشيخ أثراً كبيراً في نفسي، كيف  
لا، وقد كان جاراً لنا في حي الأمير فواز بجدة عدّة  
سنوات.

كيف لا، وقد كان لي معه لقاءً خاص كل يوم  
ثلاثاء بين المغرب والعشاء.

لقد كان الشيخ حسن أيوب رَحِمَهُ اللهُ نموذجاً للعلماء  
الربانيين، والدعاة المصلحين، امتازت كتبه الفقهية  
بالموسوعية والاجتهادات العلمية المتأنية، دون  
تقليد أو تعصب.

كما امتازت كتبه التربوية والاجتماعية بسلاسة الأسلوب، وحكمة المربي، وخبرة العالم، ورفق البصير بأمر الناس على مختلف طبقاتهم من خاصة وعامة.

وإذا ذكر خطباء العالم الإسلامي فهو في مقدّماتهم، يصدق عليه قول القائل:

### وإذا خطبت فللمنابر هزة

لا يدعك تفكّر في أي شيء، ويتسارع الناس إليه من كل مكان في جدة إلى جامع (العمودي) في أقصى الشمال، وقد كان الخطيب الأشهر، وخطبته تذكرك بقيمة الخطب العصماء الحارة، التي افتقدناها كثيراً!

ولم تكن الابتسامة المعهودة عن المصريين تفارقه، بل إن لها روحاً خاصة عند الشيخ، وخصوصاً في درسه الأسبوعي بعد خطبة الجمعة على طريقة الشيخ كشك رحمته الله.

كم مرّة أدخلت عليه بعض من أعرف ومن لا أعرف ممن يطلب شيخاً يقرأ عليه، أو يحل له مشكلة، أو يفتيه في معضلة، وكان يتعامل معهم بروح أبوية، ولم يكن يدع السائل يخرج حتى ينصحه ويدعو له.

لقد كنت أحسد نفسي على تخصيصه يوماً لشاب يشاركه في إخراج كتب الفقه وهو يكتب، والإجابة عن الأسئلة الصغيرة والكبيرة التي تدور في ذهنه، وتشكل عليه في مسيرته.

وإني لأحفظ عنه قصصاً وروايات تدلّ على أنه رجل بأمة، وجبل من جبال الدعوة.

حدثني أن من أصدقائه الذين قدّر الله أن يجتمع بهم ويسكن بجوارهم الإمام حسن البنا رَحِمَهُ اللهُ، وأنهما كانا يخرجان مع بعضهما للصلاة، وعدّ هذه الصداقة نعمة لا تقدر بثمن.

وأنه سُجِنَ مع الشهيد (سيد قطب) رَحِمَهُ اللهُ، وفي

يوم من الأيام قال سيد للشيخ حسن: إنني أريد أن تشاركني في التأمل في تفسير بعض آيات لم أر من كتب عنها بهذا المعنى، وبعد سماع الشيخ حسن تجليات الشهيد سيد في فهمه لها، قال: أوافقك على هذا التفسير.

وقبل الفجر أيقظ سيد الشيخ حسن وقال: الحمد لله، إن التفسير الذي قلته لك ووافقتني عليه صحيح. قال: كيف؟ قال: رأيت رسول الله ﷺ في المنام، فقال لي: يا سيد، ثبت ما كتبت.

لقد كان الشيخ حسن أيوب رَحِمَهُ اللهُ من دعاة الطراز الأول.

روح صافية، وابتسامة دائمة، ونفسية متفائلة، وهمة عالية، تواضع جم، وعبادة متألفة، وإنسانية أسرة.

ربّي أجيالاً، واستفاد من دروسه وكتبه المسلمون في كل بقاع الأرض.

ويكفي أنّ حسنة من حسناته، الشيخ الداعية:  
أحمد القطان.

إن وداع الشيخ حسن أيوب هادئًا في قريته  
بمنوف في مصر، يحث المصلحين وجيل الشباب  
أن يستفيدوا من علماء الأمة الأكابر، وخاصة  
القرييين منهم قبل رحيلهم!.

وأذكر قبل شهر أن وفدًا شبانيًا من مكة زارني  
وأراد أن أدلهم على بعض الدعاة للقاء بهم، فعددت  
لهم عددًا من أكابر علماء الأمة ومفكريها في مكة لم  
يعرفوا عنهم ولم يدروا عن مسكنهم!!

إن الجلوس مع هؤلاء الأكابر يبعث الروح،  
ويحيي الهمم، وينير الفكر، ويصحح المسيرة، ويجدد  
العهد على المضي في طريق الصلاح والإصلاح.

رحمك الله يا شيخ حسن، ورفع قدرك، وأعلى  
منزلتك، وأنزل عليك شآبيب رحمته، وإلى الملتقى  
بإذن الله على الحوض.

## منير الغضبان فقيه السيرة وطيب المسيرة

قبل عشرين عامًا وفي المعتكف بمكة المكرمة، كانت العشر الأواخر من رمضان مختلفة، لأن جاري كان أحد العلماء المبرزين في السيرة والفكر والتاريخ، إنه (د. منير الغضبان). كنت أختلس لحظات قليلة بحكم أجواء العشر للسلام عليه والجلوس معه، وأذهلني حاله حتى في هذه العشر، وهو يقرأ القرآن، ثم يشتغل وهو على سجاده بتأليف كتاب ضخمة يود إنجازه في هذه الأيام المباركة.

وأنا ألحظ المصادر حوله، وعشرات الأوراق التي يكتب فيها، أدركت بالتطبيق العملي عشق هذا الرجل للكتابة، والإتقان والتنوع؛ لتكون مرصداً لأولي العلم والوعي.

ودارت الأيام دورتها، وبينما كان يُدرّس في معهد مكة المكرمة مادة التاريخ استأذنته في طباعة كتابه (سيرة الخلافة الراشدة)؛ وعند استلامي النسخة الأصلية في قرابة (٥٠٠) صفحة بخط يده، مع مقاطع في صفحات مصورة، علمت أكثر مدى الجهد المعرفي، والحفر المنهجي في كتاباته.

وأنا أشهد على كثرة اتصالاتي به، أن لديه قدرة فائقة في تحليل وتحقيق المهم من مواقف التاريخ الشائكة، واستحضاره استحضار العاشق لتفصيلاتها.

إن العالم الجليل (د. منير الغضبان) الذي وافته المنية ظهر يوم الأحد ١٤٣٥/٨/٣هـ، كان معلماً بارزاً، بل موقع الصدارة المعاصرة في الكتابة المؤصلة والمنهجية والمتنوعة عن السيرة النبوية خصوصاً، ومراحل مفصلية في التاريخ الإسلامي عموماً، وتاريخ الشأن السوري بصفة استثنائية.

ولا غرو أن يكرمه سلطان بروناي في جائزة السيرة النبوية، على قدر العطاء الثر الذي قدمه، ونال

به إعجاب ومتابعة القراء والمهتمين في كل العالم  
من أقصاه إلى أقصاه.

إنني لا أكاد ألتقيه كل بضعة أشهر، أو أسمع  
صوته إبان سفره في الإجازات إلا ويخبرني عن  
جديد سيصدره، مما يعيد لنا الأمل والثقة في أثر ما  
نقرأ أو يكتب لنا.

ورغم ذبوع مؤلفاته العميقة في السيرة والتاريخ،  
إلا أن عالمنا الجليل كتب بإبداع وتفنن ووعي تام،  
عن المرأة، والشباب، والفكر المعاصر.

نعم؛ لم يكن يكثر التحليل في عدد من  
المواطن، لكنه كان يكتفي بسبر كتب التراث والفكر  
المعاصر، ما يوصل أهم النصوص، وأعمق المعاني.  
ولو أردنا أن نقرأ له منطق الرد والتحليل  
والمحاججة رغم بعدها عن شخصيته الباشة الهانئة  
الوادعة؛ فثمة ما يكفي، ولعل من أجلها رده  
المؤصل المهذب على الأستاذ الدكتور (محمد

المختار الشنقيطي) في كتابه (الخلافات السياسية بين الصحابة).

و(د. منير الغضبان) رغم انشغاله بهموم أمته، ووطنه الأهم سوريا، إلا أن بث روح الدعوة، وتأهيل أصحابها، كانت شغله الشاغل.

فلم ينزو عن عمله الدعوي الواضح، ولم يشغله التنظير عن التفكير.

وفي الأزمة التي حصلت بين (السعودية) و(الحوثيين)، قبل عدة سنوات، ردَّ على بيان (الإخوان المسلمين) في مصر، ببيان مثَّل (الإخوان المسلمين) في سوريا؛ لأنه وجد أن البيان المصري به خلل، وغير واضح، مما جعل السلطة السعودية تقدِّر هذا الاستيعاب والموقف.

وإبان الأزمة السورية وفي بداية حركتها، سمعت من مسؤول سياسي رفيع في السعودية أن السلطة السورية طلبت تسليم عدد من رموز الإخوان

السوريين المقيمين في السعودية، ومن أوائلهم (د. منير الغضبان)، إلا أن السلطة السعودية لم تفعل ذلك، وقدرت التاريخ الطويل الذي كان من الشيخ وأمثاله ممن علّم الأجيال في البلد، وأسهم في العملية التربوية في كل مجالاتها.

ورغم التوتر بين فترة وأخرى إلا أنني آمنت بحفظ الله تعالى لهذه الكوكبة المؤمنة، ورعايته لمسيرتهم العطرة في سبيل الهدى والخير والنور.

ولا بد للجيل المسلم أن يقرأ السيرة المختصرة الرائعة (كشف المستور.. أفكار التي أحيانا من أجلها)، وهي خلاصة لحياة عالمنا الجليل بخط يده، والتي أراها تعبّر - بحكم معرفتي به -، بطبيعته ومواقفه الفكرية والسياسية والدعوية والأخلاقية، التي تجسد في كثير منها، مضامين القيم والمبادئ التي آمن بها، وسمات الوعي والتوازن والإشراق التي عُرف بها.

وفي واحدة من الصفحات المشرقة التي أضاء

بها (د. منير) من حوله، صفحة عن الأسلوب البديع الذي كان يقوم به أثناء التدريس بالمعهد؛ حيث كانت تدمع عيناه في الدروس، مما جعل لهذه العاطفة الحارة أكبر الأثر في نفوس الطلاب. وكم تجتاحني الحسرة على فوات هذا النوع من العلماء المربين، الذين جمعوا بين عاطفة الروح، وعمق المنهج.

ونفسية (د. منير) كبيرة وواسعة؛ فكم من مرة حوى طلابه الباحثين في الدراسات العليا، وأحسن في تواصله معهم ما استطاع. وكان من أجمل ذلك مشاهدته على منصة الإشراف والمناقشة في (جامعة مكة المكرمة المفتوحة)، وآخرها رسالة (أخلاق الحرب في السيرة النبوية) التي شارك في مناقشتها (د. عبدالرحمن السديس) - إمام الحرم المكي الشريف -، الذي أشاد بأستاذية (د. منير)، وعلو كعبه التخصصي، وخلقته الذي شمل بمحبة ورحمة الطلاب الباحثين والدارسين المهمين.

ومن صور رحمته ولطفه أنني كنت معه منذ خمسة عشر عامًا تقريبًا في رحلة للحج، ولما وصلنا إلى مزدلفة، ونزلنا للاستعداد لصلاة المغرب والعشاء، فقد زوجته - حفظها الله - مع الزحام؛ فكان صوته المخنوق، ودموعه المتجمعة في عينه، أكبر رسالة وأبلغ موقف عن شعوره في غيابها لدقائق!.

إن عالمنا الفقيد بحاجة إلى كتابات مطولة عنه، ودراسات منهجية مؤصلة في عدة مجالات عن حياته وتجربته وعلمه ومؤلفاته.

وبعد؛ فهذا نحن نطوي صفحة من صفحات عالم من علماء الأمة، وداعية من كبار دعائها، ومفكر من أوعى مفكريها، ومؤرخ من أعمق مؤرخيها.

غادر الدنيا بسعتها وثقل همومها، غادرها وقد حمل من الأعباء ما تنوء بحمله الجبال الثقال، وقاسى من الآلام ما لا تتحمله إلا النفوس التي قواها الله تعالى، وأمدها بالصبر والرحمة. غادرها وخفق

قلبه وحديث نفسه عن سوريا، وعاصمتها الأشم  
دمشق، التي ناجاها يوماً فقال:

«دمشق هذه التي أكبرها عقيدة، وأعشقها موطنًا،  
والتي حرمتها منذ ثلاثين عامًا..»

أبحث عنك بحث العاشق الوله مع إطلالة كل  
صباح، وتسبيحة كل طير، وتكبير كل روض.

أين أنت يا دمشق، يا حبيبة الملايين، وملايين  
الملايين، يوم كنت سيدة الدنيا، تحكمين الأرض  
من مسجدك الأموي. والصين التي هي اليوم خمس  
الأرض وأكثر، كانت تخطب ودك، يوم وضعت قدم  
ابنك ابن القاسم الثقفي في أقصى الشرق، في السند  
والهند، وقدم ابنك الآخر موسى بن نصير في قلب  
إسبانيا، يوم كانت الأرض تأتمر بأمرك..

لقد طالبنا بعودة الحرية، والهوية المفقودة.. لقد  
طالبنا بذلك يا حبيبة القلب، ولسنا نادمين على  
ذلك. ففي سبيل الله ما لقينا، ولن يضيرنا العمر كله،

مضيه بعيداً عنك. وفي كل ذرة دم من دمائنا لوعة  
لفراقك، وشوق إليك، مقابل أن يعود إليك وجهك  
الإسلامي، وتبقيين منارة الإسلام والعروبة».

رحم الله فقيدنا، وجمع الله الجامع بمنه وكرمه  
أحرار الشام على خير، وتقبل جهادهم وشهداءهم.  
وعوّض الله تعالى الأمة عنه خيرًا، وجزاه عن  
عطائه ومسيرته أجرًا إلى يوم الدين.

## زهرة الدعاة.. فتحي يكن



مهما كان الإنسان مرتبطًا بشخص أو أشخاص قريبين منه يعلمونه ويوجهونه وينصحونه ويربونه، فيجد لصدي كلامهم وحماستهم ومتابعتهم أثرها المباشر في نفسه - مهما كان ذلك إلا أنه في الوقت نفسه يجد نفسه مربوطة ومشدودة ومتأثرة ومنفعلة مع كل كلمة قالها أو كتبها أو سمع عنها لشخص يحبه ولو لم يقابله في حياته!

هذه هي سُنَّة الحياة، وهذه هي أسرار الروح!  
لقد كان الشيخ الداعية الكبير (فتحي يكن) رَحِمَهُ اللهُ شخصًا فريدًا بين الدعاة، وإنسانًا نبيلًا جميلًا لا يُعرف عنه إلا كل جميل.

قرأت كل ما كتب الداعية الكبير، وحصلت على  
عدة كتب جديدة بإهدائه.

لقد اتسمت كتبه بالصدق، والمكاشفة، والشواهد  
الكثيفة، والقصص الواقعية.

لم يعيش حالة الخوف من النقد، أو التواري عن  
مشكلات الدعوة، فألّف (مشكلات الدعوة  
والداعية)، الذي لخصته بوصفه بحثًا طلب منا في  
مادة (فقه الدعوة) في المرحلة الجامعية، كما لخصه  
طلابي في دورة ثقافية، لتسري فينا أفكار هذا الداعية  
الرباني جيلًا بعد جيل.

قابلته مرات عدة، وفي كل لقاء أنظر إليه وأتأمل  
فيما يقول وفيما كتب من قبل، وإني أشهد الله - والله  
حسيبه - أن القول يطابق الفعل.

تسحرك شخصيته الأنيقة الجميلة، فهو وإن كان  
في العقد السابع من عمره إلا أنك لا تلاحظ هذا،  
لأناقته وعنايته بمظهره، حتى صار رمزًا لجمال الدعاة!  
وقد قلت له رَضِيَ اللهُ فِي بَيْتِهِ: أظن أن اهتمامك

الجميل بمنظرك هو مفتاح شخصيتك التي علمتك إياها جدتك في جدول الأسبوع!!، فضحك حينها رَحِمَهُ اللهُ .

وقصة جدته وهي امرأة سالحة «رحمها الله» أنها كانت تعلق على جدار المنزل جدولاً للاستحمام والنظافة، حتى لا ينشغلوا وهم صغار عن هذا الواجب وما يتبعه من أناقة مظهر، وشعور بجمال المخبر!

ولقد أتى الله ﷻ الفقيد روحانية أسرة، وأخلاقاً رفيعة عالية، ونفساً حبيبة.

سألتُ عنه مرة في طرابلس فأخبروني أنه بمكتبه، وإذ بمجموعات الناس التي تنتظر منه مساعدة وشفاعة وفتوى، هكذا هو دومًا. وأذكر أنني أجريتُ معه مرة لقاءً مسجلًا دام ساعتين، سألته فيه عن تجربته الدعوية والسياسية؛ لأنني اعتبره من أميز الدعاة الذين خاضوا المجال السياسي باقتدار، حتى فتحت له الحكومات أبوابها، وقابل ساستها، وهو على قمة هرم سياسي دعوي منظم!

كما حاز على ثقة كبار العلماء في كل العالم حتى عدّه سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ مندوبًا عن أهل السُّنَّة في لبنان، وكان لا يرتضي إلا شفاعته حتى لو أتت من عالم غيره!

ولهذه المميزات التي لا تخفى أسرارها على الداعية الحصيف طال اللقاء.

ولما وصلنا إلى مشكلات الدعاة والتيارات الإسلامية، تحسّر على حالهم، ومخالفة العديد منهم لما كان عليه نبيهم المربي ﷺ، وبكى حينها بكاءً مرًّا، ما رأيت - والله يشهد - بكاءً حارًّا على حال الدعاة ما رأيت منه.

وكان رَحِمَهُ اللهُ يملك أسلوبًا حكيماً في دعوته، ورفقاً في نصحه، ومن قرأ كتابه (العيادة الدعوية) يبصر دوره العلاجي التربوي الرباني الإيماني.

وفي مقابل ذلك كان الرجل البصير، قوي الإيمان، المناضل المجاهد، المتجلد في طريق الحق، الغيور على الأمة والعروبة، ومن قرأ كتابه

(أشواك في حقل العمل الإسلامي في القرن الواحد والعشرين)، يؤمن بدوره الريادي في المنافحة عن الأمة وحقها المسلوب.

وقد تعرض في سبيل الله لمحنة لم أشهد أن داعية معاصراً حصل له مثلها، إذ أصيب بمرض مفاجئ بفعل فاعل من جماعة الأحباش في لبنان، لم يستطع أن يتكلم بسبب ذلك حرفاً واحداً سنتين كاملتين، وتعرض وقتها لآلام نفسية مضاعفة، لم يسعفه فيها لا طبيب ولا راق!

ولأن نداءات الحق لا تموت، فقد شفاه الشافي رحمته بقدرته، وعاد يقول الحق بكل حكمة واعتدال. فلم تغيّره الحوادث، ولم تخرجه عن خطه الوسطي المواقف، وزلازل لبنان المستمرة!

وهكذا غابت مدرسة من مدارس الدعوة والعلم والسياسة الشرعية.

ويا لله ما أعجب الأقدار!

فقد اتصلت على زوجته الداعية المربية د. منى

حداد، قبل ظهر اليوم الذي توفي فيه، لأطمئن على صحته، وطلبت مني الدعاء له بالشفاء، وما هي إلا سويعات، ويسبق أمر الله كل أمر!

وذبلت وردة جميلة من ورود الدعوة، لكن رائحتها الزاكية العطرة ستظل تحتفظ بنضارتها، وحيويتها، وجمالها، ووقف الماء عن سقي هذه الوردة عصر يوم الأحد (٢١/٦/١٤٣٠هـ).

تمنيْتُ ما نالتُ أَلُوفٌ تَوَجَّهْتُ

إلى رَبِّها صلتُ عَلَيْكَ مع العَصْرِ

اللَّهُم اغفر للداعية فتحي يكن، اللَّهُم إن عبدك في نُزُلِكَ فَأَنْزِلْ عَلَيْهِ يا مكرم الضيف من أرزاق لطفك ورحمتك، وجازه عن الدعوة والدعاة وأمة الإسلام خير ما جزيت عبادك الصالحين، واكتب له أجر كل سعي في تفريج كرب المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين.

## في سبيل الله أبا بدر



بقلوب مؤمنة محتسبة ما يصيبها عند الله، ودّعت  
الأمة الإسلامية من أقصاها إلى أقصاها الوالد العم  
(أبو بدر) الشيخ الداعية: عبد الله العلي  
المطوع رَحِمَهُ اللهُ .

لقد كان وقته وعمله وبذله في سبيل الله - هكذا  
نحسبه والله حسيبه -، له أيادٍ بيضاء على أكثر الدول  
الإسلامية والمسلمين في كل قارات العالم، وفي كل  
أبواب الخير، بين نصره للمجاهدين، وبناء للمعاهد  
والجامعات، ودعم للمراكز والهيئات الإسلامية،  
ومساعدة للفقراء والمساكين، ومناصرة حقيقة لقضايا  
الأمة بالقلم واللسان والمال والجاه.

## حي بين مَيَّتَيْن:

عند زيارتي قبل عام تقريبًا لمكتب أبي بدر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لتعزيتته في ابنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أخبرني أن (بدرًا) هو الابن الثاني الذي دفنه بيده، وأنه ينتظر رحمة الله وعفوه ورضاه!

فقد توفي ابنه (محمد) قبل فترة طويلة، ثم توفي بعده ابنه الأكبر (بدر). وسمعت من (أبي بدر) قصة وفاة ابنه (بدر) قائلاً:

«كنا في مكة المكرمة، وأخبرني ابني (بدر) أنه يريد الذهاب للمدينة المنورة لأن أحد سكان المدينة المنورة له حاجة عنده، وقد وعده بها، وهي صدقة يريد دفعها له، فذهب لهذا الأمر برضا مني وتشجيع. وفي اليوم التالي عاد، وقد دعوت له بالتوفيق، وذهبنا سوياً لصلاة المغرب في الحرم المكي الشريف.

وبعد الصلاة عدنا إلى المنزل، وقال: يا أباي أريد

أداء السُّنَّة في الداخل. وذهب لأداء صلاة السُّنَّة،  
 وختم الله له بما يتمناه كل مسلم وهو ساجد ذاكِر  
 - والحمد لله - .»

### مواقف وذكريات:

التقيتُ بهذا الداعية العَلم الكبير مرّات ومرّات،  
 وفي كل مرّة ألتقيه فيها تتجدد عزيمتي، وأُخرج  
 بمعانٍ جديدة.

زرتُه مرّة في الحج، وهو في مبنى رابطة العالم  
 الإسلامي بمبنى، معه الداعية المعروف: أليف الدين  
 ترابي. وكان الحديث عن حال المسلمين في بلاد  
 المشرق.

فلما سلمت عليه قال: هل وصل إليكم العدد  
 الأخير من مجلة (المجتمع)؟ قلت: نعم يا شيخ،  
 اشتريتها في طريقي لمكة في اليوم السابع.

ثم أُخرج لي من تحت السرير العدد الأخير،

وكان على صفحة الغلاف صورة الرئيس المصري:  
حسني مبارك، ومكتوب تحت صورته (لا يا سيادة  
الرئيس)!!

ثم قال (أبو بدر) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: هذا العدد صغت عنوانه؛  
لأنني سمعت أن الرئيس المصري يدعو للتعاون مع  
إسرائيل، والتطبيع معهم؛ لذا وضعت هذا العنوان،  
ثم فتح رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بعض الصفحات، وقال: لقد جمعتُ  
بنفسي الآيات التي تتحدث عن اليهود، لأبين له أن  
ما فعل مخالف لأوامر الله تعالى. ثم قلت له: يا شيخ  
هل تتوقع أن يصل إليه العدد. فقال لي (باللهجة  
الكويتية): يبه نوصلها لين كرسيه!!

وهكذا كان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لا يخاف في الله لومة لائم، وكم  
كان لمجلة المسلمين في أنحاء العالم (المجتمع)  
- أسست في عام ١٩٦٦م - دور بارز في توعية  
المسلمين بقضايا أمتهم، وقد أقضت مضاجع دول  
وساسة؛ لصراحتها ودقة معلوماتها ووضوح أهدافها،  
حتى منعت في عشرات الدول، ورحبت بها أخرى!

وقبل خمس سنوات زرته في بيته العامر الذي يشهد الله أنني لم أجد له مثيلاً في بلاد العالم إلا منزل الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمته الله.

فقد كان يستقبل العلماء والمفكرين والدعاة من أقاصي أنحاء العالم، وإن كنت أنسى شيئاً فلن أنسى ذلك الموقف الرائع الذي يدل على عمق الأخلاق ورقبها لديه رحمته الله.

ففي بيته العامر، وجدتُ عنده عددًا من العلماء والدعاة الكبار أمثال الشيخ: يوسف القرضاوي، والدكتور: عجيل النشمي، والشيخ: أحمد القطان، والشيخ: جاسم الياسين وغيرهم.

وحين جاء وقت الغداء قدّر الله أن أجلس بجوار الشيخ يوسف القرضاوي، ودار بعض الحديث في بعض فتاواه - حفظه الله - وراقب الشيخ عبد الله المطوع رحمته الله أنني أسأل الشيخ يوسف وأخدمه كذلك. فكان يقوم بنفسه لتقديم الطعام بين يدي. فقلت له: يا شيخ عبد الله حفظك الله، ارتح فإنني

أخدم نفسي بنفسي. فقال لي: أنت اخدم الشيخ يوسف، ونحن نتشرف بخدمتك. وقام، والله يشهد، أكثر من ثلاث مرّات، في كل مرة يحمل صنفاً من أصناف الطعام ويقدمه لي، وبكل تواضع!

وكنت أتساءل كم هو عظيم ومهيب ومحبوب هذا الرجل!!

وجمعني الله به مرّة من المرات في بيته، وكان عنده ضيوف كبار من الإمارات، وبعض رؤساء المراكز الإسلامية، وكنت في طرف المجلس لأفصح المجال للكبار، والاستفادة منه رَحِمَهُ اللهُ.

وعندما انتهينا من الغداء قام رَحِمَهُ اللهُ لتوديعنا والسير معنا إلى خارج المنزل والوقوف عند باب السيارة. فقلت: يا شيخنا الكريم، يكفي السلام والتوديع عند الباب. فقال: لا، انشغلنا عنكم داخل الديوان، وحقكم الآن توديعكم عند السيارة!

وبعد دورة قدمتها في الكويت، أحببت زيارته

في مكتبه، فقابلت هناك الدكتور: عبد الرحمن العشماوي، فدار الحوار حول آخر قضايا الأمة. ثم طلب منا ملحقاً أن نلبي دعوته على الغداء في بيته، وقد كان عنده ضيوف من الخارج. فقال له الدكتور عبد الرحمن: يا شيخ عبد الله، نحن إذا جئنا الكويت ولم نمّر عليك، لا نعتبر أنفسنا قد زرنا الكويت!

ومن روائع المواقف التي لا تُنسى أنني زرته في مكتبه وحدثته عن أحد المشاريع التربوية التعليمية فقال: أبشر.

ومرّ أسبوع كامل، ثم جاء للملتقى التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، ولم أكن أعلم بذلك، فدخلت الحرم المكي لأداء صلاة الفجر، وبعد الصلاة رأيت - بدون ترتيب - سماحة العلامة: محمد الحسن الددو الشنقيطي، والشيخ: جاسم الياسين، وبدون ترتيب كذلك رأينا بعض رؤساء المراكز الإسلامية في الغرب، فجلسنا بضع دقائق، ثم تمّ عرض بعض حاجات تلك المراكز. فاتفق

الشيخ جاسم معهم على تنفيذ هذه المطالب. وهكذا تعلمنا المواقف العملية التي لا تحتاج إلى وقت طويل.

وبعدها نزلت إلى صحن الحرم لأصلي عند (مقام إبراهيم) وبعدها انتهيت من السلام، التفتُ فإذا بي أجد الشيخ عبد الله المطوع. ولما رأيته قال: يا أخي «وينك»؟

إن المشروع الذي حدثني عنه قد أحضرت ماله، وهو معي في جيبي منذ أسبوع، وغداً مغادرتي للكويت، ودعوت الله أن أراك لأعطيك تبرع هذا المشروع التعليمي، وتذكرت حينها حديث الرسول ﷺ: «التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء» (رواه الترمذي).

### هدفي رضا الله:

وفي ليلة لا تنسى في بيته في «أبها»، الذي كان يجمع فيه كل ليلة ثلاثاء أهالي الكويت الزائرين

والسياح، جلست معه جلسة طويلة، نتحدث عن مشاريعه التجارية، وأعماله الدعوية، التي قمت بتسجيلها في لقاء طويل - أمل أن ييسر الله طباعته - . سألته في هذا اللقاء عن هدفه في الحياة. فقال: هدف في رضا الله!

وبعد:

فهكذا هي الحياة، نودع فيها قريبًا وحبیبًا، وصديقًا وأخًا، وشيخًا وعالمًا. ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

ودّع الشيخ عبد الله الدنيا كما سنودعها، ولقي الله تعالى وهو في مكتبه بالكويت. ودّعها وهو بين أعماله التي يتقرب بها إلى الله، وأمواله التي يستعملها في طاعته، ودّعها في المكان الذي اجتمع فيه العلماء والدعاة وأصحاب الحاجات والمشاريع الكبيرة، ودّعها وهو يذكرنا بحديث النبي ﷺ: «إِنْ

قَامَتِ السَّاعَةُ، وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فَلْيَغْرِسْهَا»  
(رواه أحمد).

ودّعها، وهو يوصينا بما عُرف عنه من حسن  
تعامل، وأدب، وخلق كريم، وهو يقول:

«اعلم أنه من ملك زمام التواغر فقد ملك زمام  
الأمر». ومن حكمه التي سمعتها منه في منزله  
بمكة: «علمتني تجارب الدعوة أن من ترك إخوانه  
وكله الله إلى نفسه»!

فإلى لقاء يا أبا بدر، إلى لقاء يا جامع القلوب،  
إلى لقاء يا شيخ العاملين، وأحسن الله العزاء فيمن  
تركت لهم فراغاً كبيراً:

انظر إلى الأطلال كيف تغيرت

من بعد ساكنها وكيف تنكرت

سحب البلى أذياله برسومها

فتساقطت أحجارها وتكسرت

## ومضى جماعة أهلها بسبيلهم

### فتغيّبت أخبارهم وتسترّت

رحم الله الشيخ أبا بدر، ورفع قدره في عليين،  
 وجزاه الله عن أمة محمد ﷺ خير الجزاء، وجمعنا الله  
 به مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين  
 وحسن أولئك رفيقاً.

## عبد القادر الأرنؤوط.. قرآن يمشي على الأرض



ليعذرني المئات من العلماء والدعاة والمربين ممن عرفتهم، وأدين لهم بالفضل في جوانب استفدتها منهم، والتمستها في شخصياتهم؛ لأنني لم أذكرهم، لا لكثرتهم، ولكنني هنا أذكر من عاصرتهم، أي: من جالستهم كثيرًا، أو سافرت معهم، وعرفت كثيرًا من أمور حياتهم، وحصلت لي مواقف خاصة معهم تستحق الإشادة، والتحليل السليم!

وأول هؤلاء وفي صدارتهم سماحة العلامة المحدث الشيخ: عبد القادر الأرنؤوط رحمته الله.

فهو صديق والدي الوفي، ورفيقه في دربه، وشيخي الأول.

حضرت خطبه قرابة خمس سنوات، وقرأت كل

تحقيقاته المباركة، ودرست على يديه في المصطلح أول الأمر، ثم قراءة عامة في أحاديث مختصر شعب الإيمان، وفصولاً كثيرة من جامع الأصول.

وهو عالم متمكن في علمه، زاهد في معيشته، ورع في تصرفاته، مؤثر في إلقاءه، عفت في كلماته، وسطي في أحكامه.

فهو أول من علمني مصطلح الحديث، وقرّبني من كتب الحديث، وهو أول من لفت انتباهي وشدني لأسلوبه الخطابي العجيب، ما بين رفع صوت وخفض، وما بين استرسال وصمت.

وكانت لقاءاته الدورية في بيتنا مشهودة، وإهداءاته المستمرة لتحقيقاته موضع اعتزاز وفخر لي أولاً ولكل عائلتي.

وبموته رَحِمَهُ اللهُ خسر العالم الإسلامي قامة نادرة لها الفضل في إخراج كثرة كاثرة من الكتب العلمية المهمة المحققة التي شهدته يحققها رَحِمَهُ اللهُ ليلاً ونهاراً،

وسمعتُ منه مرارًا أنه كان يكتفي بكوب الحليب  
والخبز صباحًا لئلا يشغله شيء عن التحقيق لآخر  
النهار!!

وكان من توفيق الله العظيم له، أن وفقه لاختيار  
أهم الكتب المفيدة والعظيمة، وهذا عندي سر  
رباني!

وله قصة ظريفة مع سماحة العلامة عبدالعزيز بن  
باز رَحِمَهُ اللهُ عندما كان نائبًا لرئاسة الجامعة الإسلامية  
بالمدينة المنورة، حيث كان إلقاء المواعظ في الحرم  
النبوي بعد صلاة الظهر لا يتطلب كبير عناء!

فقام الشيخ الأرنؤوط بعد صلاة الظهر، وذكر  
حديثًا شريفًا مع شرحه مختصرًا كعادته في المواعظ  
العامة.

وبعد فراغه طلبه الشيخ عبدالعزيز بن باز وأبلغه  
أن الحديث الذي ذكره ضعيف، وكان لا يعرفه  
آنذاك، فأخبره الشيخ الأرنؤوط أن الحديث حسن،

وله شواهد وطرق كثيرة، فطلبها منه الشيخ ابن باز، وهذا ما حصل، وصار بينهما مودة وثقة كبيرة، وكان يعود إليه الشيخ ابن باز في التخريج والتوثيق.

كان شيخنا الأرنؤوط يحضر خطب الجمعة مبكرًا ويكثر من الأذكار، ثم يصعد المنبر فيروي حديثًا بسند مختصر مع إثبات رواته ومن صححه، وبعد ذلك يرويهِ من حفظه ويشرحه شرحًا مفصلاً محرراً، يجمع بين أسلوب الوعظ والإقناع.

وكثيراً ما كان يُطفئ الكهرباء في النهار، فكان صوته وطريقة أدائه هو التيار الحيوي الحقيقي الذي يشدُّ الناس، وهو والله من أميز الخطباء الذين عرفتهم وسمعتُ لهم.

وهو من أجلّ علماء هذا العصر، ممن جمع بين العلم والمعاصرة، فهو لم يخض فيما خاض فيه بعض المنتسبين إلى العلم في السعودية من النقائص أو الازدراء لأصحاب المذاهب الأخرى، كما لم ينح

ما نحى إليه بعض تلاميذ العلامة الألباني من الوقعة  
بينه وبين بعض العلماء.

ومن حكمه البديعة قوله: لا نريد صوفية تشطح،  
ولا سلفية تنطح.

لقد كان حكيماً رزيناً وسطياً مفتخراً بمنهج أهل  
السُّنة، وطريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ولكن  
دون ضجيج أو تسبب في فتنة!

وهو أول من وضعني على خط الوعي العلمي  
الصحيح.

وقد أكرمني المولى ﷺ باستخراج الفوائد  
التربوية من (جامع الأصول) الذي حققه شيخنا  
الأرناؤوط، بعد قراءتي المتأنية والطويلة له، وأسميته  
(بدائع الفصول من جامع الأصول)، وأجره بإذن الله  
لسماحة شيخنا العلامة المحدث: عبد القادر  
الأرناؤوط، والذي أهديته كتابي (أمير الأنام)، ومما  
قلته في الإهداء:

إلى شيخنا الجليل وأستاذنا القدوة  
 الصالح المحدث الكبير..  
 عبد القادر الأرنؤوط رَحِمَهُ اللهُ  
 الذي تخلَّق بأخلاق العلماء، وكان معلِّمًا في  
 توحيد الكلمة.  
 رفع الله قدره في عليين، وجمعنا به مع النبيين  
 والصديقين، والشهداء والصالحين،،،

تلميذكم  
 علي

## مع قوافل الشهداء يا بطل فلسطين



سلامٌ عليكَ ورحمة الله وبركاته..

سلامٌ عليكَ يا أبا بكر..

سلامٌ على روحك الطاهرة، سلام على أيامك  
العاطرة، سلام على كل ذرة فيك ضجت بحب  
القدس والأقصى.

سلامٌ على كل عضو فيك عمل لأجل الثكالي  
والجرحى.

سلامٌ على كل حرف نطقت به مدافعًا ومنافعًا  
عن الشهداء في فلسطين.

سلامٌ على كل أرض وطئتها تسمع أهلها أخبار  
غزة والضفة والقدس..

سلامٌ على كل يدٍ صافحتك يا بطل، وأعطتك  
من حرٍّ مالها تفدي بها أشاوس الرجال، وعوائل  
الأبطال.

سلامٌ عليكَ وأنت تمد يدك إلى يدي في عيد  
هذا العام وبعد شهر رمضان لعام ١٤٢٩هـ ومجلسنا  
في العيد فلسطين؛ لأن هتافك فلسطين.

وسلامٌ عليكَ وأنا أمد يدي إليك قبل وفاتك  
بذقاتك لأحمل الأمانة بعدك، فقد كفيت ووفيت،  
وأراد ربك أن تصافحك الملائكة بإذن الله.

سلامٌ عليكَ يا عبد الرحيم نصر الله..

فقد عرفناك من عشرات السنين لا تتكلم في كل  
المجالس التي شهد ربي أنني جالستك فيها أو  
حدثتك فيها إلا عن فلسطين وأبنائها.

سلامٌ عليكَ يا عبد الرحيم نصر الله..

ويدك الشريفة منذ عشرات السنين لا تجمع إلا  
الزكوات والصدقات لأهل فلسطين حتى عرفك

الساسة والكبراء، والتجار والدعاة، بل حتى رجال  
المخابرات والاستخبارات!

سلامٌ عليك يا عبد الرحيم نصر الله...

يا من ذقت ألم الروح وألم الجسد، وسحب  
جواز سفرك قبل وفاتك بأشهر، ورجا محبوبك أن  
يعود لتسافر للعلاج، ولكنه لم يعد!

سلامٌ عليك يا عبد الرحيم نصر الله..

يا من أكرمك الله الرحيم فرحمك وأرسل ملائكة  
الرحمة بإذن الله بجوار ربي لتعيش في كنفه،  
وليحمل جوازك من حرمك أمامك عند ربك «وعند  
الله تجتمع الخصوم»!!

سلامٌ عليك يا عبد الرحيم نصر الله..

يا من جمع الله في اسمك أعظم صفتين فيك:  
الرحمة التي أسهرتك وأنهكتك وأبكتك  
وأمرضتك وأوقفتك، وأنت صابر تسعى لأرامل  
وأطفال وأبناء فلسطين.

والنصر الذي جعلك مهابًا محبوبًا مألوفًا مطاعًا  
موثوقًا لم تهدك حماقات الغافلين وتربصات  
المخذولين.

سلامٌ عليك يا عبد الرحيم نصر الله..

فقد مضيت وإخوانك في غزة يمضون مع قوافل  
الشهداء... وقد رزقك الله الشهادة التي تمنيت بإذن  
الله.

سلامٌ عليك يا عبد الرحيم نصر الله...

وسلامٌ على كل من أحبك ودعمك ووقف معك  
ودعا لك.

وسلامٌ من كل ملائكة السماء وشجيرات الأرض  
ومنابر العلم الذين سيشهدون بكل ما قدمت وعبر  
كل الميادين..

سلامٌ عليك يا بطل فلسطين في أرض الحجاز،  
وما أحسبك إلا شهيدًا بإذن الله.

يا أيها الشهيد يا طاهر الدماء  
 أبشر بيوم عيد للروح في السماء  
 فالحور في انتظارك والصحب والملائك  
 فابشر بخير دار منعماً هنالك  
 سبيلك الأبية يا زينة الرجال  
 دماؤك الزكية تعطر الرمال

إلى اللقاء يا أخي.. إلى اللقاء..

وعزاؤنا في الله أن يرحمك ويغفر لك، ويرفع  
 قدرك ويعوض الأمة ويخلفها عنك بخير.

وعزاؤنا لإخوان دربك خالد مشعل وإسماعيل  
 هنية وبقية الأبطال.

وعزاؤنا لكل الأرامل والشباب والرجال والنساء  
 والأطفال.

ولا نقول إلا ما يرضي الرب، وحسبنا الله ونعم  
 الوكيل.

## العالم الرباني عمر الأشقر



هناك قلة ممن تتحسس منهم الإخلاص، وتحري  
الدليل، مع وفور الثقافة، وأدب المحاوره، ورزانه  
الموقف، وشجاعة الحسم، وإنصاف المخالفين.

إنه أحد هؤلاء القلائل الذين شهدت لهم الدنيا  
بذلك، إنه العالم الرباني الشيخ عمر بن سليمان  
الأشقر رَحِمَهُ اللهُ الَّذِي وافته المنية الطيبة - إن شاء الله -  
يوم الجمعة المبارك في الليلة الوترية من العشر  
الأخيرة في شهر رمضان لهذا العام ١٤٣٣هـ.

وقد حدثني الشيخ الجليل د. جاسم الياسين، أنه  
عندما سمع بمرضه قبل رمضان هبَّ سريعًا لزيارته،  
وأحسَّ بدنو أجل صاحبه، رغم طلب بعض العلماء

مرافقته وتأجيل سفره قليلاً، لكن الشيخ «جاسم» كان حدسه الإيماني أقرب.

وهذا (الحدس الإيماني) لا يبعد أن يكون نوراً يقذفه الله في قلب العبد، ورحمة تجمع شوارد النفس الحزينة.

وقد حدثت قصة تؤكد تأصيل هذا المعنى مع والدتي؛ حيث آثرت أن تبقى مع إخواني بالبيت في جدة، ويذهب والدي المريض إلى الرياض بصحبتني وصحبة أخي الأكبر (محمد)، على أن نوافيها بالأخبار كل يوم، وظللنا على هذا الحال عشرة أيام، وفجأة طلبت زيارة الوالد بحرص شديد، ووصلت إليه وسلمت عليه، ومكثت عنده أقل من ساعة، ثم عادت لجدة، ليتوفى والدي في اليوم التالي، وفي موعد زيارتها نفسه!

ورغم هذا (الحدس الإيماني) تبقى للموت هيئته، وللساعة حكمها التي لا علم بها، ولا مردّ لها.

لقد غادر دنيانا العالم الرباني عمر الأشقر، الذي حرصت على تكريمه في (جائزة الشباب العالمية لخدمة العمل الإسلامي)، وكان يقدم رجلاً، ويؤخر أخرى، ويبطئ في الإجابة، متحرِّياً غاية حصوله على الجائزة، وأحقّيته بالتكريم، والثناء!

حتى إنه رَضِيَ اللهُ لَمْ يَسْتَطِعْ كَتْمَانِ ذَلِكَ، وَأَعْلَنَ عَنِ سِرِّ تَأْخُرِ قَبُولِهِ لِلجَائِزَةِ سَنَتَيْنِ مُتَوَاصِلَتَيْنِ؛ لِتَصْحِيحِ النِّيَّةِ، وَإِصْلَاحِ الْمَقْصِدِ!

وشاهد آخر لم يستطع كتمان ذلك وقد تجلّى في مقدمة كتابه العظيم (صفحات من أيامي)، الذي علّقت عليه بأنه جاء متأخراً، وكان الأولى ألا تحرم الأجيال مما فيه من قصص ودروس وعبر. وأن نقول: الحمد لله على إصداره، خير من العتاب على تأخره، فالعبرة في المآل باستجلاء دروسه، والعمل بعبره.

وطالما أننا في خبر جائزة الشباب العالمية، فإن من المواقف التي تدل على حكمته ووفور خلقه

الرزين، أنه كان في طاولة العشاء معنا الفنان (سامي يوسف) - أحد المكرمين في الجائزة -، فأثنى الشيخ عمر الأشقر على دوره، ثم نبهه لتصويره عند (تاج محل) في الهند، وأخبره بوهم من يظن أنه مجرد متحف، بل هو معبد، ولم يأمره بتغيير المشهد، بقدر ما أخبره بتنبيه من يسأل عن أعماله.

وهذا الأسلوب الراقي من الشيخ عمر، يُنبئ عن فهم عميق للواقع، وشجاعة في بيان الرأي بالحكمة، وحسن تقديره للنقاط الإيجابية، وإقراره - ضمناً - بمشاهدة عمله، والشكر للفنان سامي يوسف على دوره.

ثم لا نعجب أن نرى كتب الشيخ عمر الأشقر فيصلاً لإثبات صحة العقيدة من عدمها!.

فقد كانت سلسلة كتب الشيخ عمر عن العقيدة مرجعاً أساسياً لكل التيارات الإسلامية، والجامعات الكبرى، لدى السلفيين، والإخوان، والمستقلين، وسواهم.

وعندما حاولت مجموعة مدفوعة من بعض العلماء تقليل دور علماء الإخوان المسلمين في نشر عقيدة السلف الصالح، انبرى الداعية الإسلامي الكبير الشيخ المحسن عبد الله العلي المطوع في مجلته (المجتمع)، وكتب مقالاً مدوياً وصادماً في عام (١٤١٣هـ)، بيّن فيه أن كتب شيوخ الإخوان المسلمين في العقيدة تُدرّس في كبرى الجامعات الإسلامية، ومعاقلة السلفية، ومن أهمها كتب الشيخ عمر سليمان الأشقر!!.

ورغم شيوع هذا الوصف، إلا أن كتابات الشيخ الأشقر كانت محل ثقة المثقفين وطلبة العلم واهتمامهم ومدارستهم؛ لرسوخها، وحسن سبكها، ووسطيتها، وإحكام الرد فيها بنصّة.

وفي ظني أن كل كتب الشيخ بما فيها سلسلة (محاضرات إسلامية هادفة)، مملوءة علمًا، ووسطية.

وإن كنت لا أمل من تكرار قراءة كتابيه (صفحات

من أيامي) و(صحيح القصص النبوي) للأجيال، لما فيها من دروس وعبر، تنفع العلماء وعموم الطلبة، وأيضًا عامة الناس.

إنني على يقين أن المضيّ في الكتابة عن النفس التربوي الذي ذاع عن الشيخ عمر الأشقر رَحِمَهُ اللهُ لَهُ أهميته، إلا أنه لا بد من الإشارة إلى عمق أبحاثه الفقهية، ولمساته العلمية المميزة التي يعرفها كل من قرأ البحوث الفقهية التي أعدها طلبته وتقديمه لها، أو الإشراف عليها، وبخاصة التي طبعتها (دار النفائس) بعمّان، التي أنشأها خدمة لنشر العلم بين الناس.

لقد (رقّي) العالم الجليل الشيخ عمر الأشقر طريقة الكتابة، وفرنّ التأليف، وأزاح عنه السطحية، والتكرار، والعجلة.

ومما يمكن الإشارة إليه موافقه في الشأن السياسي التي كانت محررة في مضمونها، حرة في رسالتها، تسمع فيها الحق بالحق، دون خجل أو تهور، ودون

متابعة لعجلة الجماهير، كما أنها دون رضوخ للغافلين والوجلين. ولعل في لقائه مع الإعلامي الداعية (د. عزام التميمي) ببرنامج (مراجعات) - المنشور في موقع الإنترنت «يوتيوب» - لعل في ذلك ما يبيّن نظرتة السياسية الواعية.

رحم الله الشيخ الرباني (عمر الأشقر)، فقد كانت مجالسه، مشافهة، أو مدارسة لكتبه، تروي الروح، وترقّي السلوك، وتحفظ التدين، وتصون اللسان، وتقوّم الفكر، وتعالج الخلل.

ولئن كنت اتصلتُ عليه قبل سنتين معزّيًا في وفاة أخيه الشيخ محمد سليمان الأشقر رَحِمَهُ اللهُ، وما استطعت أن أبث كل ما في نفسي لمواساته لدوام بكائه، فإنني اليوم أبكيك عالمًا، ومفكرًا، ومجاهدًا بالقلم، وربانيًا بالقدوة.

ولن أتعب بعد اليوم وَلَدَكَ أسامة في كل معرض للكتاب؛ لأسأل عن أحوالك، وآخر إنتاجك وأعمالك.

ولا نقول سوى: الحمد لله على كل حال، وإنا لله  
وإنا إليه راجعون.

فكم كنت أتمنى أن تحقق أمنيتك في تفسير  
كتاب الله، الذي شُغلت به آخر عمرك، وابتسمتَ  
وأنت تشرح لي طريقتك وجهدك فيه، لكنَّ الأعمار  
مكتوبة، والأعمال محدودة، عسى أن يوفق الله  
المهتمين بأعمالك لإصدار ما تمت كتابته، وانقطع  
عن (مجلة المجتمع) نشره.

رحمك الله يا شيخ عمر، وجزاك الله عن أمة  
محمد ﷺ خيراً على ما قدمت، ولا نقول إلا ما  
يرضي الرب.

ولو كان طولُ العُمُرِ يُخَلدُ واحداً

ويُدْفَعُ عَنْهُ عَيْبَ عُمَرِ عَمَرَدٍ

لَكَانَ الَّذِي رَاحُوا بِهِ يَحْمِلُونَهُ

مُقيماً ولكن ليسَ حَيٌّ بِمُخَلدٍ

نَرُوحُ وَنَعْدُو وَالْحُتُوفُ أَمَامَنَا

يَضَعْنَ لَنَا حَتْفَ الرَّدَى كُلَّ مَرَّصِدٍ

والحمد لله رب العالمين الذي لا يحمد على

مكروه سواه.

## فقيه الحجاز.. ناجي عجم

منذ ما يربو على سبعة عشر عامًا جلستُ مع إخواني وزملائي في مركز جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بفرعه بمدينة جدة؛ لنستمع إلى محاضرة عن أسرار الحج للشيخ العالم والداعية الدكتور: ناجي عجم رَحِمَهُ اللهُ. ومنذ تلك اللحظة دخل حب هذا الشيخ الجليل في قلبي، وتوطدت العلاقة بعدئذٍ من خلال زياراتي المتكررة لمكتبه بقسم الدراسات الإسلامية بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة.

وقد مثل العالم الشيخ: ناجي، وأخاه الشيخ العلامة: عبد الله بن بيه مدرسة الفقه وأصوله في الجامعة لأكثر من عقدين من الزمان.

لقد كان الشيخ ناجي رَحِمَهُ اللهُ العالم الفقيه والأصولي المتمكن، خريج جامعة الأزهر الشريف، نموذجًا للعالم المعلم، والمربي الموجه.

لم يبخل على أي طالب جاءه للمشورة، أو الدراسة على يديه في علم الفقه وأصوله.

وكان وقفًا للعلم وطلابه، تحرص الجامعات الخاصة على الاستفادة من علمه، فتسارع في بداية كل فصل دراسي للاتفاق معه فترة من الزمن ليدرس طلابها.

وسعى العشرات من طلاب الدراسات العليا ليشرفوا بإشرافه على رسائلهم وحسن توجيهه لهم.

وخدم الشيخ ناجي رَحِمَهُ اللهُ طلاب مدينة جدة على وجه الخصوص خدمة جليلة من خلال التعليم الأكاديمي الطويل، والدروس العامة والخاصة.

وكانت آراؤه واجتهاداته وفتاواه الفقهية محل اهتمام واحتراف، بل محل ثقة وقبول.

وللشيخ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ هيبته ووقاره، وسمته وأخلاقه،  
وابتسامته ومداعبته، التي يأسر بها كل زائر.

كان في غاية التواضع والسماحة، والرفق والأدب  
الجَم، مع المحب والمخالف؛ حيث كان يناقش  
المخالف بأدب أهل العلم، ولم يُعلم عن أحد - فيما  
أعلم - بغضه للشيخ.

وهو مع ذلك من أهل الله، رقةً وصلحاءًا، ومع  
الناس وأهل بيته حبًا وعاطفةً وحنانًا.

ولن أنسى أبدًا قبل حوالي عشر سنوات عندما  
اتصل بي يسألني عن حال أحد أبنائه البرره الذي  
حج في أحد المواسم معنا، فكان سؤاله عنه دائمًا،  
سؤال الأب الحنون، والمشفق الرفيق.

وبعد، فإنه لا يعرف المعروف إلا أهل المعروف،  
ولا يقدر الأكابر إلا الأكابر، وفَقَدُ الشيخ: ناجي رَضِيَ اللهُ  
فَقَدُ عظيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والوصية الكبرى في هذه اللحظات للشيخ

والأساتذة في قسم الدراسات الإسلامية بجامعة الملك عبد العزيز خصوصًا والجامعات الأخرى عمومًا أن يقتدوا بهذه الشخصية الكريمة؛ فيوسعوا من علومهم، ويطلقوا البحث والنظر في تخصصهم، ويتواضعوا لأقرانهم وطلابهم، ويقدموا لأنفسهم، وأن يكونوا قدوة صالحة لأبناء زمانهم.

ووصية للدعاة وطلاب العلم أن يتقنوا تخصصاتهم، ويبدلوا الوقت الكامل ليرعوا في ميدانهم، ويرفعوا من شأن أمتهم، وأن يتأدبوا بأدب العلماء وأهل العلم، وأن يصلحوا سرائرهم، وأن يهابوا ربهم، وهذا لعمر الله ما تميّز به الشيخ ناجي رَحِمَهُ اللهُ، علَّ اللهُ أن يبارك في أقوالهم وأعمالهم.

وهكذا طويت صفحة من صفحات العلماء، وذبلت وردة فواحة في رياض الصالحين، وانتقل إلى جوار أرحم الراحمين، وأكرم الأكرمين الشيخ الجليل والعالم الأصولي الفقيه/ ناجي عجم رَحِمَهُ اللهُ

بعد معاناة مرضية دامت لأكثر من عام وبعد رحلة طويلة في خدمة طلاب العلم.

رحل الشيخ كما سيرحل الجميع طال الزمن أو قصر.

فلنتدارك الأعمار، ولنكثر من التوبة والاستغفار، ولنحذر الغفلة وطول الآمال، فالعمر مكتوب، والزمن محدود، والموعد الحساب، والآخرة عند ربك للمتقين.

ورحمة الله على الإمام ابن كثير في «البداية والنهاية» عندما أخبر أن أبياتاً وجدت على لوحة عند قبر إبراهيم عليه السلام - مكتوب فيها:

إِلَهِي جَهولًا أَمَلُهُ      يَموتُ من جَا أَجَلُهُ  
 ومِن دَنَا من حَتْفِهِ      لَم تُغْنِ عَنْهُ حِيلُهُ  
 وكِيفَ يَبْقَى آخِرٌ      من ماتَ عَنْهُ أوَّلُهُ  
 والمرءُ لا يَصحبُه      في القبرِ إِلَّا عَمَلُهُ

اللهم يا أرحم الراحمين، يا أرحم الراحمين،

يا أرحم الراحمين، ارحم عبدك ناجي عجم، وأسكنه  
فسيح جناتك، وارزقه بمتك الفردوس الأعلى من  
الجنة. اللهم ارفع درجته في المهديين، واخلفه في  
عقبه في الغابرين، واغفر اللهم لنا وله يا أرحم  
الراحمين، اللهم أعن إخوانه العلماء والدعاة على  
أداء رسالتهم، وتدارك أعمارهم، والطف بنا لطفًا  
شاملاً كاملاً يا وهاب.

ربنا إنا ظلمنا أنفسنا ظلمًا كثيرًا، وإن لم تغفر لنا  
وترحمنا لنكونن من الخاسرين، وآخر دعوانا أن  
الحمد لله رب العالمين، وصلِّ اللهم وسلِّم على نبينا  
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

## د. السميط.. عندما تبسم عاليًا

حينما جرّب (خلف بن خليفة) آفاقًا جديدة من الحياة، كان يتمنى أن تصل متعة تجربته ولذة قلبه إلى الآخرين، فقال: (أعاتب نفسي أن تبسمتُ خاليًا).

لكن تجربةً أكبر وأعظم، وأثرى وأهم، خاضها (د. عبدالرحمن السميط) في القارة السمراء، فلم يعاتب نفسه، ولم يبتسم خاليًا، بل عاتب أمته التي تأخرت عن قطع الشوط هناك حيث الأرض الخصبة للدعوة إلى الله وعمل الخيرات، ثم إنه أعاد الابتسامة القلبية والنفسية قبل الجسدية على الوجنات لكل أعمار الحياة، وألوان البشر، وتبسم عاليًا محبًا لله، راضيًا بعبثائه، صابرًا على بلوائه، محتسبًا في بلائه.

سيبدو لمن سيكتب في سيرة (د. عبد الرحمن السميطة) أنه سيثبه في عالمه، وتصعب عليه لململة الحروف ولو لتأبينه؛ فضلًا عن التعبير عن التأثر بعمله الواسع في المكان، الممتد في الزمان.

ولكن لا بد من الكتابة والتعبير أداءً لأمانة التجربة التي خاضها، ووفاءً لسيرة أحد نوادر الزمان المعاصر، وواجبًا لفهم فقه الدعوة وطريقة ممارسة الرجل لها.

ولو أردتُ أن أفيض في الكلام عنه بما ينشئ دراسة رصينة لفعلت، وما استصعب القلم ذلك، ولكن مساحة الكتابة عنه - بعد وفاته -، في العدد الخاص من مجلة (الكوثر) التي أنشأها ورعاها، تجعلني أختار الأهم من المهم في حياة هذا الإنسان الملهم.

### ١ - شخصية عبقرية:

هناك الكثير ممن قدموا مشاريع مهمة وجيدة، ولكن (د. السميطة) رَحِمَهُ اللهُ، اختار طريقًا صعبًا، وشق

مسارًا جديدًا، وأدرك بعبقريته مكان الحاجة لطاقته، وهذه الخطوة التي وفقه الله إليها، كانت الانطلاقة لسر نهضته في مشروعه الأعظم.

## ٢ - شخصية مهمة:

كان يمكن للسميط أن يعيش بين الغابات بإخلاص دون أن يعلم عنه أحد، لكنه واجه التحديات، وعرف الناس بمشروعه، فأنشأ الإذاعات، والمؤسسات، وقابلته عشرات الفضائيات، وحاورته عشرات المجلات، وسجلت تجربته عشرات التسجيلات.

كان يعلم أنه ركن في مشروعه، وواجهة لمسيرة العمل الخيري الكبير الذي أسسه ورعاه، فلم يشأ أن يخرج عن متطلبات عصره، والتأثير على بني جنسه.

## ٣ - شخصية عامة:

بعد وفاته رَحِمَهُ اللهُ كُتِبَتْ عَنْهُ مِائَاتُ الْمَقَالَاتِ الثَّرِيَّةِ، وَأَكْثَرُ الْكُتُبِ هُمْ مِمَّنْ يَلْتَقِ بِهِ!. لَقَدْ كَانَ

(د. السميط) حاضرًا بينهم بأعماله، ولقاءاته،  
 ورحلاته، ومجلته، ومؤسساته، التي ترسم ملامح  
 كل مشروع بالصوت والصورة، والقصة والمشهد.  
 حتى الصغار والعجائز صاروا يرددون قصصه  
 الصعبة، ومواقفه المؤثرة. كان تأثيره مباشرًا؛ لأن  
 أعماله مباشرة، يشاهدها الناس، ويندمجون مع  
 أحداثها بسهولة. بل شمل تأثيره المسؤولين  
 والحكام، والنخب والعامّة، وكافة التيارات  
 والمؤسسات!. وهذا من عجب فقهه وممارسته في  
 الدعوة؛ مما يوجب على مدارس العمل الخيري  
 والدعوي وقياداتها الاقتداء والاستفادة من تلك  
 التجربة الثرة.

#### ٤ - شخصية واقعية:

لم يتورط بالرضوخ لفتاوى لا تعرف واقعه، ولم  
 يتسرع في مشروعات تضيق على أعماله، بل كان  
 واقعيًا واعيًا. تقابله كل المحطات، وتخالطه كل

الشخصيات والجنسيات، فيرى كل هؤلاء أنهم يعاصرون رجلاً سبق زمانه في العمل، والتخطيط، والمبادرة، بل إن من أهم ملامح واقعيته مشاركته في المناسبات وحضور مراسم التتويج في القرى والبلدان التي سطرها في مقالاته النادرة: (حقيقية مسافر). وهذه الروح أثرت بدورها على الاستمرار، والنشاط، والعطاء.

### ٥ - شخصية صادقة:

لا نزكي على الله أحداً، ولكن نزكيه للناس. كل من خرج بعد اللقاء به مباشرة سواء أكان في القارة السمراء أم في جمعيته، أم منزله، خرج بجرعة إيمانية وعملية لا مثيل لها، والأعجب من ذلك أن يمتلئ القلب يقيناً، والنفس عافية، والعقل وعياً، والعين دمعاً، والروح نشاطاً، وهو يشاهده في التلفاز!.

بل لا أعجب أبداً أن تكون خلواته المستمرة بين الغابات وفي الكهوف، وعلى التلال وفي بطون

الأودية، وفي لحظات اللجوء إلى الله وقت المخاطر، لها أكبر الأثر عليه وعلى كلامه وتصرفاته. وهي مهمة تتطلب من المقتدين التطبيق!.

ولا أبالغ بعد أن أمارس دور الفلاسفة هنا لأقول: إن التأمل في طريقة كلامه، وإيحاءات عباراته، ونوع لباسه وتنوعه حسب حالاته، وأسلوب استقباله، وطبيعة جلوسه، كلها تضيفي تأثيرًا مضاعفًا وعميقًا، مع جوهر روجه. وهي خلاصة عملية لصدق المظهر والمخبر.

## ٦ - شخصية واضحة:

عني شخصيًا أعرف من كان يفتح له خزينة شركته الكبرى؛ ليحدد (د. السميط) المال الذي يقرره لإنجاز مشروعه الذي يدعو إليه في أي زاوية كانت. إن الوضوح والمصداقية اللتين اتسم بهما (د. السميط) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فتحت له القلوب والدروب. فكيف لو جمعنا لها التواضع الكبير، والخلق الأسر، والتوقير للناس؟!.

## ٧ - شخصية أممية:

بحكم إدارتي لجامعة مكة المكرمة المفتوحة، والاستيعاب لطبائع الرسائل الجامعية، أستطيع القول: إنه يمكن إعداد رسائل جامعية عنه وعن تجربته، وسيكون من أطفها: رسالة عالمية في فقه الدعوة من خلال مقالات ورحلات (د. السميطة)، في مجلته الكوثر. فالرجل رغم كونه تخصص في العمل الخيري، إلا إنه كان يكتب في كل قضايا الأمة بقوة، ووسطية، ووعي. يسعفه العقل الراشد، والتجربة الثرة، والاحتكام للقرآن والسنة، وسلف الأمة.

## ٨ - شخصية مستقبلية:

قد لا يدري الكثيرون أن (د. السميطة) رَحِمَهُ اللهُ فِي آخر سنِّي عمره تفرغ للكتابة عن تجربته المهمة، واستوعب أمانة نقل التجربة، في حين كان العمل الخيري الهائل الذي أداره يسير بخطى ثابتة،

ومتطورة، وواضحة. وبهذه العقلية، والمتابعة، أعاد للعمل الخيري هيئته، واستؤمن بفضل الله على نجاح مشروعه واستمراره. سقاه الله من فضله ورعايته.

### ٩ - شخصية أسطورية:

قد لا يصدق أحد الأرقام الثابتة في إسلام الملايين على يديه، وفتح عشرات الجامعات، وإنشاء عشرات الإذاعات والمحطات، مما تعجز عنه الدول والمؤسسات. بل قد لا يصدق المرء أنه كان يعاني من أمراض مستعصية عدة، وأن الأدوية لم تكن تفارقه، وهو يمارس هذه الأنشطة الشاقة التي لا تقل عن جهاد المجاهدين وقاتل المقاتلين بل تربو عليها في الأثر والعطاء. وقد لا يصدق أحد أنه لدغ من الثعابين مرات، وواجه الحيوانات المفترسة، واضطر للشرب من المياه الملوثة، والأكل مما يصعب ذكره واستساغته، والمشي بين الوحول والأنهار، وبها العقارب والميكروبات، وهو في شيخوخته صابر

مناضل. وهو بهذا يعيد للأذهان سير الصالحين والأبطال المجاهدين. ثم قد لا يصدق البعض أنه أنقذ أطفالاً بعون الله من المرض ثم صاروا سفراء ووزراء ورؤساء.

### ١٠ - شخصية متوازنة:

من رحمة الله (بالدكتور السميّط) أن كان كويتيًّا، استطاع الحركة، والتفنن في المشروعات دون إيذاء مباشر، رغم تعرضه لمسائلات ومضايقات عدة، سببها له الحاسدون الأقربون والمعرضون من أعداء الإسلام. ورغم ذلك ظل في طريقه محتسبًا ومتوازنًا. متوازنًا بين حاجات دعوته وحاجات أهله الذين شاركوه مسيرته، فنجح في إكمال ما يريد. وكان متوازنًا بين متطلبات الدعوة الداخلية والعالمية. وكان متوازنًا حتى بين بعض الظروف الاجتماعية ومشروعاته القاريّة. ثم لا عجب أن نعرف أنه برغم كل المضايقات من عدد من الدول الإفريقية والغربية

والهيئات الكنسية لم يستطيعوا أن يجروه لمعركة، أو يستفزه فيجرح لفعل يسوع لهم غلق حساباته!.

وبعد: فإنني أكتب هذه الوريقات وأنا على يقين أن كل فقرة من (عشاريات د. السميطة) تحتاج لمداخلة، ولكن حسبي أن كتبت بعض ملامح ما في نفسي لمن سأل ويسأل وسيسأل عن شخصية هذا الداعية النادر، الذي لم يعاتب نفسه، وتبسم عاليًا. وأفهمنا حقيقة الجبل، كأنما عناه به سعد بن وقاص، عندما حمل جنازة عبد الرحمن بن عوف، فقال: واجبله.

رحم الله العبد الصالح المجاهد التقي النقي (عبد الرحمن السميطة)، وأعان الله جنوده من بعده. وهياً الله من هذه الأمة من يقتدي بمسيرته الحافلة النادرة الصعبة، وسيرته العطرة الصادقة الناطقة ولو بسمت صالح.

## وسبقنا الداعية المجدد

طارق خياط رَحِمَهُ اللهُ

إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ولا نقول إلا ما يرضي الرب، وإن لفراقك يا أبا أسامة لمحزونون.

ودَعَّ جيلُ الدعوة رجلاً من رجالها الأفاضل، وداعيةً متميزاً مجدداً، وابتناً وفيئاً من خير أبنائها، إنه الأخ الداعية: طارق خياط - رحمه الله رحمةً واسعة - .

ودَعَّ الدنيا التي لا بدَّ أن نودعها، ودَعَّها وقد زرع فيها الابتسامة الحلوة في (الطف لمة، وأقوى لمة) تلك البرامج التربوية الإيمانية الاجتماعية الهادفة، ودَعَّها وهو بحق رمزٌ من رموزِ التجديدِ الدعوي، ومثلاً ومساندوه في مؤسسة (الخطوة الذكية) خطأً جديداً متجدداً ممتداً مع البرامج الدعوية الأخرى،

واعْتَبِرَ من المؤسسين المجددين لإدارة «التدريب والتوجيه الاجتماعي» في خط الدعوة.

واستطاع رَحِمَهُ اللهُ أن يؤسس فكرة رائدة مضت سنين طويلة لم تضعف أو تتوانى، إنها فكرة النزول الدعوي لعامة الناس في الميادين، عبر البرامج الاجتماعية والتربوية المتميزة، واستطاع - بفضل الله - أن يفتح فروعاً عدّة شملت مناطق المملكة بل حتى في حدودها القصوى كمنطقة تبوك ليُشْرِقَ نورُ التوجيه والدعوة في كل مكان.

ومضى في هذه الفكرة باذلاً كل وقته وجهده وواجهته ليشع نورها بين مئات الناس الذين حضروا برامجه ورحلاته واستفادوا منها.

لم تكن الابتسامة تفارق محياه أبداً، وستظلُّ طبيته ودمائه أخلاقه رَسْمَةً لا تُمحي أبداً، وسيبقى (طيب العود) الذي ملأ أرجاء بيته يُطَيَّبُ به كل من زاره، شذى عبقاً يفوح بالإنسانية الفضلى والحب في الله.

يا الله !!

كم ليلةً جلسنا سوياً في داري وداره، ومكتبي  
ومكتبه، لم يحدثني يوماً عن شيءٍ من الدنيا، بل  
كان حديثه كله في الأفكار والبرامج الإبداعية  
التربوية.

ولن أنسى يوماً بعدما ألقيتُ درسًا بعنوان  
(الداعية الطائر) وذكرتُ فيه مفاهيمَ دعويةً ينبغي  
ألا تغيبَ عن حسِّ الداعيةِ الرباني مهما شغلته  
الدنيا، أو ساهمَ في بعض قضايا الدعوة. فطلبَ  
مني بعد اللقاء أن أجلسَ معه منفردًا، وانهالتُ  
كلماته ودموعه الحزى في آنٍ واحد حزنًا على  
فواتِ بعض اللقاءات الدعوية التي غابَ عنها ولم  
يستطع حضورها.

إن أخي طارق رَحِمَهُ اللهُ قد جابَ الأرضَ شرقًا  
وغربًا، عربًا وعجمًا، والتقى ودرس في مدارس  
مختلفة، وعلى قومٍ بديانات وأقطار متباينة، ولكنه  
مع هذا ظلَّ ثابتًا بدينه وقيمه، وأصالته منهجه

الدعوي، لم يتغيّر في ذلك أبداً، ولم يختفِ عن الساحة رُغم كل مشاغله.

وستشهد له داره - بإذن الله - التي إن رأيتها مُضاءً فهي بأهل العلم والدعوة والخير عامرة، وإن رأيتها مُظفأة فلأن طارقاً أضاء ببرامجه بقعةً أخرى من العالم.

لقد ترك رَحِمَهُ اللهُ نموذجاً رائعاً الكيفية إدارة العمل المؤسسي الإسلامي، مهما كان الثوب الذي يظهر به، ليستفيد منه أبناء الجيل والمسيرة - رحمه الله رحمةً واسعة - .

وبعد، فقد انقضت الأيام، وانتهت الأحلام، وما بقي إلا الذكر الجميل، والذكريات الأخوية الخالدة.

تركنا أخي طارق ليذكّرنا بِغَدِنَا، وينبّهنا من غفلتنا، ويُخرجنا من عُزَلتنا.

سبقنا كما سبقه إخوانه من قبل: نبيل حفزي،

وأحمد الغامدي، وطلال بيما، وعبدالعزیز النهدي،  
رحمهم الله جميعًا.

سبقنا إلى ربه، حيثُ الحسابُ والجزاء، والأملُ  
فيما عنده من رجاء.

سبقنا ليُبصرَ كلِّ منّا عيوبه، ويتداركُ عُمره،  
وينتبه من لهوه وسهوه، وخطراتِ قلبه، وسوءاتِ  
خلوته.

عجبًا يا عمرو من غفلتنا

والمنايا مُقبلات عنقا

قاصداتٌ نحونا مسرعةٌ

يتخللن إلينا الطُّرقا

فإذا أذكرُ فقدانَ أخي

أتقلَّب في فراشي أرقًا

وأخي أيُّ أخٍ مثلُ أخي

قد جرى في كلِّ خيرٍ سبَقا

سبقنا وهو يرجو مِنَّا أطيب الدعاء، وجميل  
 الوفاء، - رحمه الله رحمة الأبرار - ولا نقول سوى:  
 حسبنا الله ونعم الوكيل، وإِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ راجعون.  
 ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

اللَّهُمَّ ربنا يا أعظم مسؤول، ويا أكرم مأمول،  
 يا مُحسِنُ يا مُجْمَلُ يا مُتفضل، أنزل شآبيب  
 رحمتك على أختينا طارق، وارفع درجته في  
 المهديين، واخْلُفْهُ فِي عَقْبِهِ فِي الغَابِرِينَ، وأسكنه  
 الفردوسَ الأعلى من الجنة، واجزه عنا خير  
 الجزاء. اللَّهُمَّ عافه واعف عنه وأكرم نزله، ووسّع  
 مدخله، وتجاوز عن سيئاته، واغسله بالماء والثلج  
 والبرد، وارزقه برد عفوك وجميلَ لطفك يا ربُّ يا  
 رحيم.

اللَّهُمَّ احفظ دعاة المسلمين في كل مكان،  
 وارزقنا وإياهم الثبات حتى نلتاق وأنت راضٍ عنا  
 غير غضبان، برحمتك يا أرحم الراحمين.

وإلى لقاء في جنات خلد - بإذن الله - يا أبا أسامة  
أنت وإخوانُ دربكَ على سررٍ متقابلين.  
والحمد لله رب العالمين، وصلِّ اللهم وسلِّم  
على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

## العلامة يوسف القرضاوي صمام أمان الأمة



[١]

والذي رَضَّ اللهُ شَخْصِيَّةَ مَارَسْتِ الْعَمَلِ السِّيَاسِيِّ فِي السَّفَارَاتِ، وَقَبْلَهَا وَأَهَمُّ مِنْ هَذِهِ الْمَمَارَسَةِ، دِرَاسَتِهِ فِي الْمَدَارِسِ السَّلْفِيَّةِ، وَتَمَسُّكِهِ بِهَا، وَرِعَايَةِ مَا اسْتَطَاعَ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْمَفْكَرِينَ مِنْ ذَوِي هَذَا التَّوْجِهِ، عِنْدَمَا كَانَ مَسْئُولاً فِي عِدَدٍ مِنَ السَّفَارَاتِ فِي الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ، وَقَدْ وَعَى مِنَ الْمَمَارَسَةِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْمَدْرَسَةِ الْعِلْمِيَّةِ الْمَزِيدِ مِنَ التَّوَازُنِ وَالْحِكْمَةِ.

وَرِغْمَ صِدَاقَتِهِ الَّتِي يَفْتَخِرُ بِهَا، وَيُنْتَمِي لِمَدْرَسَةِ أَصْحَابِهَا، مِنْ أَصْحَابِ الْفِقْهِ وَالْفِكْرِ السَّلْفِيِّ (الدَّاعِينَ لِمَنْهَجِ السَّلْفِ، لَا السَّلْفِيَّةِ السِّيَاسِيَّةِ أَوْ الْمَتَسَمِيَّةِ بِاسْمِهَا)، أَقُولُ: رِغْمَ ذَلِكَ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَعِدُ

وجود نماذج من أصحاب الفكر المعتدل، والتوسع في الفهم، والعمق في معرفة قضايا الأمة، مع التمكن العلمي، والأدب والمنهج، ممن يصون بهم المولى الأمة، أيًا كانت مدرستهم الفقهية والدعوية.

وسأله عمي يومًا في مجلس عائلي: من ترى يا شيخ حمزة أبرز علماء الأمة اليوم؟ فقال مباشرة: أرى الشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ يوسف القرضاوي، وأن كلاً منهما مدرسة لا غنى للأمة عن فهمهما، ودروس حياتهما. وقد صدق رَحِمَهُ اللهُ.

أما الشيخ الإمام عبد العزيز بن باز، فقد سبق الحديث عنه في هذا الكتاب، وأما الشيخ الإمام يوسف القرضاوي، فهذا أوان الحديث عنه في شذرات لا توفيه حقه، بقدر ما أسدُّ شيئًا مما في نفسي تجاهه، وحقه في أن يكون في مصاف من أكتب عنهم في حياتهم.

الشيخ يوسف القرضاوي (إمام عصره)، وقد أغناني شيخنا العلامة (عبد الله بن بيه) في ترجمة

هذا الوصف عنه، إبان كلمة ألقاها في حفل تكريم الشيخ القرضاوي في (إثنية) الوجيه السعودي: عبدالمقصود خوجه.

ومن كلمة الشيخ (بن بيه) عن الشيخ (القرضاوي)، قوله: «المحتفى به الذي نكرمه الليلة ليس عالمًا فقط، وإنما هو إمام.. من هو الإمام؟

الإمام هو المتقدم على غيره، والإمام هو المُقتدى به، والإمام هو مَنْ يُوِّمُّه الناس من كل صوب؛ ليجدوا عنده ما يحتاجون إليه.. بهذه الاعتبارات وبهذه المعايير نعتبر أخانا العلامة الإمام الشيخ: يوسف القرضاوي من أئمة المسلمين، لا نزكيه على الله.. الشيخ القرضاوي هو فقيه - أيضًا - بما في هذه الكلمة من معنى، فقيه عالم بالأحكام، فقيه مستنبط للأحكام، فقيه نفسي، وفقيه واقعي، وفقيه عملي. كل كتبه تشهد على ذلك».

كما أنني أرى عبارة الشيخ (بن بيه) عنه قد لخصت مشروع العلامة القرضاوي في الفقه والفكر

والسياسة، وذلك في قوله: «إن الشيخ (القرضاوي) ليس من الفقهاء الذين يكتفون بالعلاج النظري لقضايا الأمة الاجتماعية والاقتصادية، بل إنه رجل ميداني، ينزل إلى الميدان العملي والتطبيقي، فيسهم في إنشاء المراكز العلمية، والجامعات، والجمعيات الخيرية.

وخلاصة القول: «إن الشيخ العلامة يوسف القرضاوي إمام من أئمة المسلمين في هذا العصر، وشيخ من شيوخ الإسلام في هذا الزمان.

قد توافقه فتقتنع بحجته وبرهانه، وقد تختلف معه فتحترم رأيه؛ لأنه رأي عالم تقي، لا يصدر عن جهل ولا عن هوى، وهما شرطان لا غنى عنهما لتكون للفتوى حرمتها، وللکلمة قيمتها.

وهذان الشرطان جمعهما - فيما أحسب - هذا الإمام».

وفي موضع نفيس آخر يقول الشيخ (عبد الله بن

بيه) عنه: «الشيخ يوسف يقول بعض الناس عنه إنه يرخّص ويوسّع، وهذا دليل على فقهه، فهو إذا رَخَّص ووسّع يهَيئ الضوابط، وإذا ضَيَّق وشَدَّد يهَيئ المخارج».

لقد وددتُ نقل هذه الكلمات عنه؛ لدقتها ونفاستها وصواب وصفها - فيما أعتقد -، وإلا ففي ذهني ونفسي ما سأقول بعضه، وما سيوفق الله تعالى لقول أكثره في وقت آخر.

ولئن رأى البعض فيما سأقول غلوًّا في وصف منهجية الشيخ العلمية والفكرية التي غيّر بها فكر الكثير من أقرانه العلماء والدعاة فضلًا عن عموم التلامذة والمتابعين في كل قارات الدنيا، فهو مما يسوغ طالما كان منضبطًا، مستعيرين كلمات شوقي:

قِيلَ غَالٍ فِي الرَّأْيِ، قَلْتُ: هَبْوُهُ

قد يكونُ الغلوُّ شيئًا أصيلاً

وقديماً بنى العُلُو نفوساً  
 وقديماً بنى الغلو عقولا  
 وكم استنهضَ الشيوخ وأذكى  
 في الشباب الطَّماح والتأميلا

إنني لا أظن أن عالماً معاصراً - بعد الإمام حسن البنا - كتبت عنه رسائل علمية عالمية (ماجستير - دكتوراه)، بقدر ما كُتب عن الشيخ القرضاوي، كما لا أظن أنه قد كتب في فكر أحد ومنهجيته مثلما كُتب عنه، وهو في كل ذلك يستحق الإشادة وأكثر، - ولا نزيهه على الله -، ولعل موسوعة (يوسف القرضاوي.. كلمات في تكريمه وبحوث في فكره وفقهه)، والجمع المبارك الذي شارك فيها، والكتابة التي صيغت من علماء الأمة ومفكريها ومثقفيها عنه، لتدلُّ على مكانة الرجل، وعلو كعبه، وحجم دوره في فكر الأمة وترسيخ هويتها.

## [٢]

إن مما فتح الله سبحانه وتعالى به على الشيخ القرضاوي، أمورًا نادرة، ومواهب فريدة، وخصائص جليلة، يمكن الإشادة ببعضها، ومنها:

### ١ - رجل تاريخ ومرحلة: فالشيخ - حفظه الله -

عاش عمره المديد، منذ ريعان شبابه في الدعوة، تعلمًا وتعليمًا. وعاصر مرحلة تكوين الحركة الإسلامية، وما أعقبها من الصحوّة الإسلامية، ثم تحولات الأمة، وما صاحب ذلك من تغيرات وتجديدات، عاش ذلك وهو بكامل وعيه، وناضج فكره، وتمام فقهه، وجميل سيره، ترقب ذلك في خطّ خطبه الأولى، وقصائده ومسرحياته في بدايات عرضها، وكتبه في أوائل نشرها؛ ومشروعاته ومؤسساته منذ إعلانها لترى الموازين الغالبة وثبوتها منهجًا، وتطورها فنًا.

ففي الفقه: العمق، والبحث عن الأدلة، والمقاصد، والاجتهاد.

وفي الفكر: الشمولية، والسعة، والربط بالسيرة،  
والتمحور حولها.

وفي الدعوة: البناء والتكامل، والنقد الهادف،  
ورسم السياسات والأولويات، والاستقلالية.

وفي السياسة: الوضوح، والحكمة، والحق.

وفي المشروعات: المبادرة، والمأسسة، والإنتاج،  
والعصرنة.

وفي كل مجال ما يمكن رصده بعمق وتحليل..

إن (الخَضْرمة) التي عاشها الشيخ يوسف، لم  
تُحَقَّق لأكثر علماء جيله، بل حتى بعض أصدقائه  
وتلاميذه، وهي فتح من الله وتوفيق، ساهمت في  
تراكم خبرته، وترتيب مرحلته، وتوجيه رسالته.

وأرى من واجب دعاة اليوم، وشباب الأمة قراءة  
سيرته ومسيرته التي دونها بيده (ابن القرية  
والكُتَّاب)، فهي مسيرة حافلة بالعطاء وأعجب العبر،  
وأبدع الدروس في عوالم السياسة والدعوة والتربية.

٢ - رجل حرية وقيادة: لقد قادت حرية الشيخ أن يقول رأيه منذ كان قول الرأي في مسائل صغيرة وكبيرة تناله الأقلام بالردود والتشنيع، والألسن بالتوبيخ والتصنيف والتفسيق.

لكنَّ الشيخ مارس حريته في محاضراته، وخطبه، وكتبه، ومبادراته، وآرائه، ومواقفه، واختياراته، وقراراته الحاسمة، ولو خالفت فقهاء وساسة، ودعاة وجماعات وحركات إسلامية.

نعم قد يكون الشيخ - نفسه - رجع عن بعضها، واعتذر عن شيء فيها، ولكنه ظلَّ جبلاً راسخاً، في خطاب لا يتلون، رغم تَغْيِيرِ بعض الأحداث لصالحه!

فهو مع الحق وللحق، لا يهاب، ولا يتزعزع، ومع المنهج يدور معه حيث كان.

زانه في هذه المواقف (هيبة) مِنْهَا اللهُ ﷻ عليه بها، (ومصدقية) توشحت قوله وفعله، فكان

حضوره، ولقاؤه، موضع احتفاء وانتظار، وتقدير وإجلال، ونهَم وإنصات وأنشده.

وسانده في ذلك فصاحة وبلاغة، وتسلسل في الحديث ومنطق، وفنٌّ في جذب الجماهير، وتحريك مشاعرهم، وإقناع عقولهم.

وقد سمعت له محاضرات وندوات وخطب في عدد من دول العالم، في مجالس وقصور، ومساجد وقاعات، وهو إذا ناقش أقنع، وإذا تكلم أسمع، وإذا دلَّ مَنْطِق، وإذا تحمَّس أثَّر، وإذا رقَّ بكى وغير.

وفي هذا السياق أتذكر في إحدى جلسات (المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث) عندما احتدم النقاش حول مسألة (طلاق الهزل) بين العلمين العلامتين الشيخ: عبدالله بن بيه، والشيخ علي القرة داغي، وشردت بعض التعليقات هنا وهناك!

فلمَّا حان وقت نهاية النقاش تحدَّث الشيخ القرضاوي عن رأيه في المسألة، وعرضه القديم لها

في كتابه (فتاوى معاصرة) قبل عشرين عامًا من عُمر الجلسة، ثم داعب الشيخ (بن بيه) قائلاً: أنت يا شيخ عبد الله أحيانًا تأخذ برخص ابن عباس، وأحيانًا تأخذ بشدائد ابن عمر.

ثم أثنى على الشيخين، وختم بدعاء جامع، ذرفت له العيون، ورقّت له القلوب، فأقبل الجميع يقبل رأس الشيخ القرضاوي على صنيعه وحسن تأتبه في الموقف، كما أقبل الشيخان (بن بيه) و(القرة داغي) يقبل كل منهما رأس الآخر، ويقر بفضلها، وسابق علمه.

ومن المواقف التي تدلُّ على هبة الشيخ يوسف، ومكانته العلمية، احترام أولي العلم له، مهما بدا الاختلاف بينهم، وقد عرضت لأحد هذه المواقف المؤثرة في روايتي (سلفي في الكافية): «حضر ذات يوم لفندق (الانتركونتيننتال) بمكة، أثناء فعاليات أحد المجالس الفقهية للمجمع.

وقد حصلت سخونة علمية في اللقاء، كان

فرسانها في المنصة الشيخ عبد العزيز بن باز،  
والشيخ أبو الحسن الندوي، والشيخ يوسف  
القرضاوي.

وكلما استشهد أحدهم بحديث استشهد الآخر  
بحديث آخر، وكلما استنبط أحدهم مفهوماً استنبط  
الآخر دلالة أخرى، وطال الحوار بين قولٍ لفقيه،  
واستشهادٍ لغوي من بيت شاعر أو تععيد تأصيلي...

وعندما ختم الشيخ بن باز الجلسة، نزل الجميع  
لصلاة الغداء، وسأل الشيخ بن باز رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قبل البدء:  
أين الشيخ القرضاوي؟

قالوا: لم نره، ربما ذهب لأمر ما، فلنبداً نحنُ  
ويدركنا.

قال الشيخ: بل ننتظره حتى يأتي، وبقي العلماء  
وأعضاء المجمع ينتظرون الدقائق المتتالية، والطعام  
دونهم، لم يبدأوا تأدباً!!

واستمر هذا الحال حتى قيل للشيخ بن باز:

سيبرد الطعام، والقوم ينتظرونك. قال الشيخ: لا، حتى يأتي الشيخ القرضاوي!

وبعد قرابة نصف الساعة، حضر الشيخ القرضاوي، فقال المقربون: هيا يا شيخ، قل للناس: (تموا، الله يحييكم). فقال الشيخ: أين هو؟ فاقترب الشيخ القرضاوي، فأمسك الشيخ بن باز رَحْمَةُ اللَّهِ بيده، وقال: أهلاً بالشيخ العلامة!.

ومن (هيئته) و(رسوخه)، أنه لم يكن له أن يمشي على الأرض إلا قائداً.

فهو مُقَدَّم وفي الصفوف الأولى منذ مراحل مبكرة من عمره، وقيادته للأمة في الفقه والفكر كان قبلها وبعدها سرُّ رباني في التوفيق.

وإلا فبأيّ تفسير تصل كتبه إلى كل أنحاء العالم، بل بعضها في صدر المكتبات في أوروبا، وفي محاريب بعض المساجد في الصين؟!!

وبأيّ تفسير تلقى القبول في مشرق الأرض

ومغربه قبل عصر الفضائيات والاتصالات، ويُختار لإمامة الصلاة على العلامة «أبو الأعلى المودودي» في الهند؟!!

وبأيّ تفسير تحسب له الدول حسابًا، ويلقى وهو بمكانته العلمية جل حكام العرب، ويستقبلونه، ويحسنون وفادته، وهو يوجههم للحسنى، وربما قسى على من بغى منهم؟!!

وبأيّ تفسير كان له الدور البارز، والإرشاد الظاهر في قيادة عدد من المنشآت الإسلامية، والمؤسسات الخيرية، والاقتصادية، وعمادة الكليات والهيئات الشرعية، والمجامع الفقهية، في العديد من قارات العالم؟!!

### [٣]

٣ - رجل رسوخ وعمق: افتح أي كتاب من كتبه؛ لتجد بشكل غالب وظاهر، عمق الكتابة، ورسوخ الفكرة، جامعًا حول الموضوع الذي يكتب فيه ما

يصعب حصره في كتاب، مع تعقيبات وتصويبات،  
وفوق ذلك لمسات من جمال الأسلوب، ودقة  
التحرير، ووسطية الخطاب، وواقعية التوجيه.

نعم قد يجد المتخصص ما قد يعترض على  
الشيخ القرضاوي في نتيجة ما وصل إليه، واهتدى  
لفهمه، لكنه لا يشكُّ أنه يزواج بين عين النص وعين  
المقاصد، ويبحر في شواهد النقل، مع واسع الفهم.  
وهذه المنهجية يجدها من قرأ له في الفقه، مثل  
(فتاوى معاصرة - فقه الجهاد - أحكام الطهارة،...)،  
أو حتى في الفكر، مثل (ملامح المجتمع المسلم  
الذي ننشده، السياسة الشرعية،...)، بل حتى في  
موسوعة الطريق إلى الله، مثل (التوبة، الزهد،...).

إن المتأمل المدقق في كل ما مضى ليجد  
بوضوح أن الشيخ لم يكتب ليدوّق كتابته بوسع  
النقول، بقدر ما هو يقنن المسائل، ويضعها في  
نصابها بعد طول بحث، وعمق فهم؛ ليصل بذلك  
إلى كليات الإسلام ومقاصده الكبرى.

ومن هذه الغزارة، يمكن القول إن الشيخ (يوسف القرضاوي) هو من أوائل من هُندس (فقه الأقليات)، وضبط معالمه، وبنى قواعده، ساندته في كل ذلك مخزونه المعرفي في الأحكام والمقاصد، وخبرته الطويلة، وفهمه لطبائع النفوس.

لذا لا غرو أن يدرس العشرات من كبار علماء العصر اليوم هذه الحالة (القرضاوية المقاصدية)، ويشيدوا بها، بفلسفة ودراية، ولعل من أواخر وأعمق ما كتب عن الشيخ القرضاوي في هذا المعنى: مبحث في كتاب (من أعلام الفكر المقاصدي) للشيخ المقاصدي الفقيه د. أحمد الريسوني. ومبحث في كتاب (السياسة الشرعية عند أعلام الفقهاء المعاصرين)، وهو رسالة دكتوراه في (جامعة مكة المكرمة المفتوحة)، للدكتورة: هند لرضي، بإشراف د. أحمد الريسوني، ومن قبلها فقيه الدعوة الأستاذ محمد أحمد الراشد في مبحث من كتابه (أصول الاجتهاد التطبيقي). وسواهم ممن إذ سنحت الفرصة

عرضت لـ (ببليوغرافيا) بأعمالهم المهمة عن الشيخ القرضاوي، ومشروعاته.

وأظنُّ أن للشيخ فتوحات وترجيحات لم يُسبق إليها، كما في كتابه الحفيل (فقه الزكاة) وكتاب العصر (فقه الجهاد)، وموسوعته البحثية (فتاوى معاصرة) في أجزاءها الأربعة، وسواها.

وكم اغتبطت بعد أن رأيتُ الرسالة العلمية (فتاوى الدكتور القرضاوي التي خالف فيها المذاهب الأربعة في العبادات) للدكتور: عبد الرحيم توفيق قاسم خليل، والتي قدّم لها الشيخ المجاهد: رائد صلاح، وهي رسالة دكتوراه مطبوعة مؤخرًا عن (دار الفاروق) بعمّان.

لذا أوصي عددًا من طلبة العلم في (رابطة تلاميذ الإمام يوسف القرضاوي)، أن يسهموا في تقريب علم الشيخ، ونظراته المسدّدة، وترجيحاته الموفّقة، وخاصة في قضايا الأمة الكبرى، وما يشغل بال شبابها، ويؤثّر على مسيرتهم.

كما أن الفرصة سانحة لكل جاد ليستلهم رؤى الشيخ في الفقه والأصول والسيرة، والتي كثيرًا ما يمني النفس بالكتابة فيها، وأظن أن فكرة مدارستها مع الشيخ بطريقة منهجية ثم طباعتها، ستسهم في تحريك بعض دوائر الركود في مثل بعض الموضوعات المفصلية التي يتقنها الشيخ، وذلك على طريقة كتاب (كيف نتعامل مع القرآن؟) بين الشيخ: محمد الغزالي، والأستاذ: عمر عبيد حسنه.

كما أعتقد أن من مهام الجادين من الباحثين كتابة (فقه الشيخ القرضاوي) المنشور بين فتاواه في أجزاءها الأربعة، وكتبه المستقلة في موضوعات فقهية بعينها، على غرار ما بُذل وأنتج عن فقه سماحة الشيخ العلامة عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ مِنْ مجموع فتاواه وبعض كتبه، وصدر فيما بعد في كتب، مثل: (آراء الإمام عبدالعزيز بن باز الفقهية) لياسين الحاشدي، و(اختيارات الشيخ ابن باز الفقهية) للدكتور: خالد آل حامد.

[٤]

٤ - رجل جَذِبَ وَحُبَّ: فبرغم قوة الشيخ الظاهرة في عدد من المواقف، إلا أنه رجل عواطف، بل ربما عواطف ذات عواصف!

فالشيخ - حفظه الله - إنسان سريع الدمعة، ظاهر الخشية، مشرق الروح، غني الإحساس.

إذا تحدّث في الوجدانيات أشجى، وإذا استغرق في الروحانيات تولّه، وإذا ذكر الدعوة ورجالها تألّق. فله مع الابتسامة الأسرة، والضحكات الأنيقة، مُلح وجلسات، يؤنسك بها، ويغريك بإزاحة الهم، وفسح مساحة للأمل.

إنك لتخرج بعد الحديث معه عن هموم الأمة وقضاياها من ضيق إلى سعة، ومن يأس إلى تفاؤل وبشر!

يجذبك بسؤاله، وتودده، وإكرامه، ولطفه، وحنوه، وكأنّ شيئاً من أثقال اليوم لم يكن.

ما لقيته إلا وسألني عن أعمالي وآخر كتاباتي،  
وأحوال المشايخ في بلدي.

وإن سألته مبادلاً عن أعماله وكتاباته، شاركك  
همه وما يرغب بإنجازه، وأمانياته، ورغباته، فلا تشعر  
في حديثه لا بفارق العمر، ولا بفارق الحب!

في كل مرة تلقاه تجده كما هو، في حبه،  
وسؤاله، وسلامه، وابتسامه، وحتى مصافحته.

لا يردُّ لك طلباً إن طلبتَ منه أن يُنشدَ، أو أن  
يتحفك بعذب قصيدة، وصوت حب، أليس هو من  
يقول:

يا حبيبي جُذُّ بوصلٍ      دمتَ لي واجمَع شتاتي  
لا تعذبني كفاني      ما مضى من سنواتٍ  
بُتُّ أشكو الوجد منها      شارباً من عبراتي

إنك تعيش مع الشيخ في جلوسك معه حالة  
الوجد والجذب، ولن تفارقه أبداً وأنت تقرأ له،  
حتى ولو كنتَ بعيداً عنه.

اقرأ ما كتبه ويكتبه كلما فارق صديقاً له، أو  
حبيباً، اقرأ ثم اسكب في نفسك مقادير من الحب  
والسكينة والعطف والتحنان والود.

إنني لا أفارقه إلا وأحِبُّ أن يسرع زمن العودة  
إليه، ولو للجلوس معه، والأنس بوده وحبه وجذبه،  
فهل على مثلي لوم؟!!

## [٥]

**٥ - رجل موقف ومبدأ: إن الإمام العلامة (يوسف  
القرضاوي) ممن سخرهم الله تعالى؛ ليكونوا (صمام  
أمان الأمة).**

صمام أمان.. فهو الذي أعاد للعلماء مكانتهم  
وهيبتهم في قول الحق، دون أن يخشى في الله لومة  
لائم، ودون أن يتلون حسب الأحوال وتقلبات  
الخريف بعد الربيع!

وصمام أمان.. يوم وسَّع على المسلمين أمور

دينهم، وما جعلهم في حرج أمام شريعتهم، ولا العيش الطيب في عصرهم.

وصمام أمان.. يوم جاهر وواجه خطاب العنف، وفكك أفكاره، وأثار أمام العقول المغلقة، بشعلة البرهان والبيان الطريق للحائرين.

وصمام أمان.. بصوته، وفكره، وقلمه، ومؤسساته، وعالميته، حتى غدت الأمة في الملمات تنتظر صوته، ورأيه، المثبت للحق وأهله.

وبعد، فهذه كما قلت شذرات عن إمام معاصر، ادخر الله تعالى عمره الطويل؛ ليكون قدوة وشاهدًا على سبيل أولي العلم والهدى.

زاده الله تعالى من نعيمه، وسدده في قوله وفعله وعمره، ونفع به الأمة، وجزاه في سبيل الحق والخير والجمال والدعوة أحسن ما جزى عباده المؤمنين، وأولياءه الصالحين، ورفع كلفه صبر وناضل ونفع واحتسب.

## عبد الله بن بيه.. جامع العلم والعمل



من أجلّ العلماء الربانيين الراسخين في العلم  
اليوم ممن عرفتهم، وأنست بهم، واستفدت منهم  
مبكرًا، سماحة العلامة الفقيه الأصولي الشيخ:  
عبد الله شيخ المحفوظ بن بيه.

وهو اليوم واحد من أشهر علماء المسلمين،  
ونائب الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين.

كان جازًا لنا ولم يزل في حي الأمير فواز أكثر  
من عشرين سنة، وهو عمدة الحي الشرعي، وآراؤه  
وفتاواه محل قبول وثناء في كل الأوساط.

بدأ أول ما بدأ معنا في الحي بدرس اقترحتة  
عليه، ووافق على فكرته بعد طول تأمل منه كعادته

في (مسجد الفتح) قبل خمسة وعشرين عامًا من الآن، أي في حوالي عام (١٤١٠هـ)، وكان في شرح سيرة ابن هشام، وتم تسجيل الكثير من الحلقات على أشرطة، وأفاض الشيخ في الشرح بشكل مفصّل وعميق.

والشيخ - متّع الله به - في السيرة النبوية أعجوبة، ومعرفته بدقائقها مما يلفت النظر، وحفظه للمنظومات المتعلقة بالأنساب وشجرة السيرة ملفتة، وهذا سرُّ تعلقنا بدرسه وبسيرة المصطفى ﷺ مبكرًا.

ثم بعد ذلك دامت صلتني بالشيخ من خلال دراستي مع بعض أبنائه وتلاميذه في داره في شرح كتاب (رسالة ابن أبي زيد القيرواني) في الفقه المالكي، وكذا في عقيدته، ومن ثمّ دروس في أصول الفقه، واللغة العربية.

وكانت الدروس في غاية العمق وبعد النظر، ومن منهجية الشيخ في الشرح إحضار أمهات الكتب للتأكد من راجح المذاهب المختلفة، وكذا صحة

الأحاديث، وقد أثنى الدروس أكثر من خمس سنوات شبه متواصلة، وأشبعها بآرائه وترجيحاته ونظراته العميقة، حتى أكرمني المولى جل جلاله، فاخترت كتاب (الفتح الرباني شرح نظم رسالة ابن أبي زيد القيرواني) التي درسناها على الشيخ خمس سنوات، رسالة علمية (للدكتوراه)، مع الدراسة والتحقيق لهذا الشرح، والتدقيق في نص النظم وتوثيقه، وتخريج أحاديث الكتاب وبيان صحيحه من ضعيفه.

وخرج الكتاب الذي أصرَّ الشيخ (بن بيه) على تقديمه بنفسه من غير طلب مني، بل وحرص - متَّع الله به - أن يكرم تلميذه بالتقديم، بل التأكيد على تقديمه هو، حتى كان مما قال فيه:

«لقد عني العلماء الراسخون منذ القرن الثاني وفي الطور الثالث من أطوار تدوين الشريعة بتجريد الفروع الفقهية دون أدلتها بعد أن محصت الأدلة المذاهب الفقهية وأصلت ونقحت من طرف جهابذة

الفقهاء وصيارفة المحدثين حسب عبارة الإمام أحمد رحمته الله.

وقد كان هذا الطور تتويجاً لطورين هما: أولاً طور الرواية الشفوية الذي درج عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وطور تدوين الحديث الذي نشأ مع نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني بأمر من الخليفة الصالح عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه.

وفي نطاق تدوين الفروع وسياق ترتيب المسائل تبارى حملة المذاهب فكان منهم المسهب في التفريع والتشعب وافتراض الصور، وكان منهم من يعتمد التأليف الوجيز الذي يكتفي بعيون المسائل ومهمات المقاصد والوسائل.

كما أن مؤلفي الفروع سلكوا طرقاً مختلفة، فمنهم من نأى عن الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة مكتفياً بقول الإمام، ومنهم من حافظ على الصلة بدليل الإمام من الأصليين.

وقد كان للمالكية نصيبهم في تنوع المنهجية على غرار النصوص الأصلية للإمام، فقد تمثل منهجهم في التوسع في الفروع والاكتفاء فيها بالرواية عن الإمام الأصل الأكبر للمذهب، وهو مدونة سحنون التي رواها عن ابن القاسم عن مالك رحمته الله تعالى. وتمثل كذلك في الاقتصار على عيون المسائل والاقتراب من الأدلة، الأصل الأصيل للمذهب، وهو موطأ مالك رحمته الله تعالى الذي هو كتاب فقه وأثر في الوقت نفسه.

وهكذا سار المالكية في تأليفهم في النهجين المذكورين.

وكان الشيخ الأجلّ خاتمة المتقدمين وفاتحة المتأخرين الإمام أبو محمد القيرواني المتوفى سنة ٣٨٦هـ قد سلك السبيلين وجمع النيرين، فقد ألف على طريقة الأولى كتابه النوادر والزيادات على ما في المدونة وغيرها من الأمهات في أزيد من مائة جزء حسب عبارة المتقدمين، وهو من أوسع كتب المذهب ومن أعظمها نفعاً.

وألف على الطريقة الثانية كتاب «الرسالة» الذي وصفه هو بأنه: جملة مختصرة من واجب أمور الديانة مما تنطق به الألسنة وتعتقده القلوب وتعمله الجوارح....

والرسالة وهي التي نحن بصددھا فهي كما يقول الدباغ في معالم الإيمان: فانتشرت الرسالة في سائر بلاد المسلمين حتى بلغت العراق واليمن والحجاز ومصر وبلاد النوبة وصقلية وجميع بلاد إفريقية والأندلس والمغرب وبلاد السودان، وتنافس الناس في اقتنائها حتى كتبت بالذهب، وأول نسخة نسخت منها بيعت ببغداد في حلقة أبي بكر الأبهري بعشرين دينارًا ذهبًا.

وقال ابن ناجي: بل بيعت بوزنها ذهبًا وكان ثلاثمائة دينار ونيّفًا.

وقد تبارى العلماء شرقًا وغربًا في شرحها والتعليق عليها وتعليمها للناشئة؛ لينالوا علم ما لا يسع جهله في الاعتقاد الذي لا تختلف فرق أهل

السُّنَّة فيه والعبادات والمعاملات على مذهب الإمام مالك والأداب الشرعية.

أضافوا إلى ذلك طلب الحصول على بركة الدعوات الصالحة لمؤلفها ابن أبي زيد حتى قيل: إن من حفظها واعتنى بها وهبه الله تعالى ثلاثاً أو واحدة من الثلاث: العلم والصلاح والمال الطيب. كما يقول أبو العباس القلشاني في تحرير المقال في شرح الرسالة.

وقد عدَّ بعض المستشرقين النمساويين لها ثمانية وعشرين شرحاً كما يقول بروكلمان، وقد عد بعضهم أكثر من أربعين شرحاً أو تعليقاً أو نظماً على الرسالة بحذف الشروح المكررة لمؤلف واحد فقد شرحها القاضي عبد الوهاب البغدادي بشرحين، وشرحها أبو الحسن المصري بستة شروح.

ولكن الإضافة المميزة للرسالة هي تلك التي قام بها بعض العلماء الشناقطة الموريتانيين لتسهيل حفظ الرسالة واستظهارها عن طريق النظم بدلاً من النشر وهو نظم العلامة الشيخ عبد الله بن الحاج

حمى الله الشنقيطي الذي أقبل عليه أهل تلك البلاد حفظًا واستظهارًا، إلا أن الشيخ العالم الداه الشنقيطي الذي كان مقيمًا في جمهورية السودان خطا خطوة مباركة عندما شرح هذا النص بفقهِه مقارن للمذاهب الأربعة مع ذكر الدليل غالبًا من السُنَّة، وبهذا يعتبر هذا العمل تطويرًا مهمًا للتعامل مع باكورة المذهب.

إلا أن عمله لم يحظَ بتمحيصٍ كافٍ وتخريج وافٍ إلى أن سمت همة ابننا الدكتور علي بن حمزة العمري إلى وضع رسالته هذه التي نقدم لها هنا في خدمة هذا الشرح تحقيقًا وتدقيقًا وفحصًا وتمحيصًا، فرجع أقوال المذاهب المختلفة إلى أصحابها من خلال مراجعتها، فحقق عبارات نقولها، وخرج أحاديثها بعزوها إلى كتب السُنَّة مبينًا درجاتها، متسنمًا شرفاتها، مطلعًا على دهاليزها وردهاها، فكان عملاً مذکورًا وسعيًا مشكورًا من أبواب الطهارة إلى الزكاة، فسد خلة في هذا الباب،

واستخرج من جنِّي فاكهته اللباب، فنسأله سبحانه  
وتعالى لنا وله القبول ونيل المطلب والسؤل.

وللدكتور علي قصة مع الرسالة ذكرها في مقدمة  
بحثه إلا أنني أضيف إلى ما ذكر أن ذلك حدث في  
مرحلة مبكرة من عمر هذا الفتى الذي ثاقف الشيوخ  
وزحمهم بالركب في حلقات الدرس الخاصة التي  
يرتادها إلى جانب ارتياده مع والده الشيخ الفاضل  
المرحوم حمزة العمري المساجد ومواطن الخير،  
فتربى تربية حسنة علقته همته بمعالى الأمور  
وفضائل الأعمال. وقد درسته الرسالة وسنه تقارب  
سن الشيخ الإمام أبي إسحاق السبائي الذي يرى  
الدباغ أنه هو الذي طلب من الإمام أبي محمد  
تأليف الرسالة وهو في الـ ١٧ من عمره وربما كان  
الشيخ علي أصغر سنًا في هذه المرحلة.

لقد جاء التحقيق فقهاً مقارناً، وتخريجاً محققاً  
للأحاديث، وتصحيحاً للنظم، وتهذيباً للأصل،  
وترجمة لعلماء غير معروفين في المشرق، وهو بين

يديك أيها المطالع فاغتنم الفرصة للإفادة منه، ولعل الابن الدكتور علي، مع انشغالاته، تسمح له الظروف بإكمال الكتاب على النسق الذي بدأه، والأسلوب الذي اتبعه؛ لما في ذلك من النفع. سائلاً له التوفيق والسداد».

والعلامة (عبد الله بن بيه) له مميزات وخصائص، من ذلك:

### ١ - رسوخه في العلم بالتلقي والمتابعة: فالشيخ

عبد الله راسخ العلم من خلال ما تلقاه عن شيوخه في موريتانيا عبر الطريقة التقليدية في الدراسة والتمكين في حفظ الفنون المختلفة وضبطها، لكن الشيخ فوق هذا التمكن زاد في استمرارية مطالعته وتركيزه على كتب المتقدمين من الفقهاء، فصار خبيراً بحق، ملتقطاً لدرر الأئمة ونفائسهم بفن، متمرساً في اكتشاف مظان الأقوال بأعجوبة.

### ٢ - نذر وقته للبحوث العلمية: وهذه خاصية

عظيمة في الشيخ، فكثيرًا ما ينكب على مسألة، بل يحدثك وعينه على مخطوط، أو هامش مليء بالنفائس، أو استجلاء لرأي فقيه أحد المذاهب.

والشيخ نظرًا لعمق قراءته في دواوين العلماء، ومعرفته المميزة بمظانّ المسائل، استطاع أن يوظفها في بحوثه القيمة، التي أثرته كثيرًا، وأثرت بها المجالس التي يُسأل فيها عن مسائل مستجدّة، فيجدون فيها الأجوبة الحاضرة، والأقوال المقنعة، والمناقشات المستفيضة المرتبة، مع سرد لشواهد ونقولات وأبيات متنوعة وحاضرة، وربطها بالواقع، المبني على معرفة ودراية بحقيقة المستجدات والدراسات، بل ما قيل في المسألة في لغة العرب ومصطلح الغرب!

**٣ - يدعو إلى الحق:** فالشيخ - يحفظه الله -

يبحث دائمًا عن الحق، ويقول به، سواء وافق رأيه الكثير أو خالفهم، وهذا دليل صدق وقبول.

وقد أعجبني تعليق العلامة الشيخ يوسف

القرضاوي على شيخنا العلامة (بن بيه) في إحدى مؤتمرات (المجلس الأوروبي للبحوث والإفتاء) عندما تشدد في مسألة، ويسّر في أخرى، فكان تعليق د. القرضاوي: أنت يا شيخ عبد الله أحياناً تأخذ بشدائد ابن عمر، وأحياناً تأخذ برخص ابن عباس!

وهذه اللطيفة من العلامة القرضاوي في صديقه العلامة (بن بيه) حقيقة، ووصفة بليغة، ولكن العلامة (بن بيه) في موقفه بين شدائد ابن عمر ورخص ابن عباس، إنما يعود لفقه المسألة، وقوة أدلتها، وطبيعة ورودها، وكيفية تحقيقها.

ولذا فهو رجل لا يُشق له غبار في بناء الأحكام، أو ما يسمى بأصول الفقه، ولذا يعتدُّ برأيه في تصور المسائل؛ لأنه يعرف ما يقبل من تخريجها وما لا يقبل!

٤ - لديه منظومة متكاملة مترابطة: وهذه لا يعرفها إلا من جالسه طويلاً، وسأله كثيرًا، واستمع له متحدًا وقرأ له متعمقًا.

فالشيخ - حفظه الله - تستطيع أن تقول إنه كَوَّن  
 لنفسه (منظومة متكاملة مترابطة)، فأنت عندما تحدثه  
 عن مسألة شرعية، أو قضية إسلامية فكرية، فتجده  
 بسلاسة، يربط المسألة الأصولية برأي فقيه، أو  
 بفتوى إمام، أو بيت شاعر في لحظة واحدة، ومن  
 جهات مختلفة، لينظم من خلالها رؤية ذات شأن!

وهذه سر صنعته، ومكونات خلطته، أعلنها لأول  
 مرة على الملأ، ولكن دون ذكر تفاصيلها!

حدثه مثلاً عن دقائق الاستنباط في الشريعة،  
 حدثه عن الديمقراطية، حدثه عن البورصات، حدثه  
 عن التجديد، حدثه عن قضايا عصرية متشابكة؛  
 لتجد ما أقوله لك بالتمام.

ثم إنك عندما تسمع ستجد أن ما يقوله لقطات  
 تجمعها الفكرة والمنهجية، ولا تجمعها المصادر  
 والمراجع!

وَأَعْتَقِدُ أَنَّهُ تَعِبَ كَثِيرًا وَكَثِيرًا جَدًّا لِلْوُصُولِ إِلَى

هذه الطريقة الخالصة للشيخ والمبهرة لكل من ناقشه فيها.

ومع ذلك فالشيخ ليس متخصصًا بالمعنى الأكاديمي في كل العلوم الدقيقة، بل هو مستوعب لها، ولكنه يسأل ويدقق ويتابع مع المتخصصين فيها.

**٥ - قدوة عملية:** وهذه ربما التي يستطيع أن يقول فيها الآلاف من المحبين والمتابعين آلاف القصص والشواهد، فالشيخ رغم كبر سنه وآلامه العارضة والمستمرة، يواصل الأسفار بين القارات، وجدوله مليء بالمؤتمرات والمحاضرات والندوات العالية القيمة، وكم مرّة قلت لعشرات الدعاة: إن الشيخ (بن بيّه) يخجلكم بكثرة تنقله رغم كبر سنه!!

ولدى الشيخ قبول عند جهات كثيرة رسمية وحكومية وشعبية ودعوية، خطبت ودّه في وزارات وهيئات ولجان متعددة.

وفوق ذلك فالشيخ إنسان حاضر في المسجد جماعة كل الفروض، لا يغيب عنها، ومعروف بتبته في الليل بعد العشاء، وجلسه في خلوته كل ليلة، حتى فترة من الليل، ثم يمكن بعدها الاتصال عليه وسؤاله عن أمر مهم.

ولا غرو بعد هذا أن نقول: إنه عالم موسوعي، فهو فقيه، وأصولي، ومفكر، وسياسي، وأديب، وشاعر.

وبعد، فما قلت ما قلت إلا عن معرفة ودراية ومجالسة طويلة ومستمرة، عن عشرة دامت عشرين عامًا، وعن إشراف مباشر لدراستي في الماجستير والدكتوراه.

ولا زلت وبفضل الله تعالى مع الشيخ ملازمًا له في لقاءات مستمرة، وجلسات محاضرة، وأسفار متعددة.

## محمد الحسن الددوّ.. مشروع إمام

### لأول وهلة

الذين تفرع لهم بعد الله في النوائب وعويصات  
المسائل قليل..

وقليل منك يكفيني!

هو هكذا يمنحك ما يجعلك ترتاح، ويغريك  
بعلمه ليطمئن قلبك..

قد لا تكون بحاجة إلى أن تتخيل حال السلف  
في قدرتهم على الحفظ والاستنباط..

فهنا بقية من هناك!

يحمل شيئين فقط في ليله ونهاره، وحلّه  
وترحاله: عقله وروحه!

رزقه الله مخزوناً من العلوم والمعارف لا تبصر  
عيناك مثله، ولا تكاد تصدق أذناك أن كل ما تسمعه  
تجوّد به حافظة إنسانٍ لا يبسط بين يديه كتاباً ولا  
ينظر إلى أوراق!

عفيف اللسان، خفيض الطرف، يؤذى ولا يؤذي.  
تحيطه الرعاية، وتحفه المحبة، وتقبل عليه  
القلوب الطيبة، والعقول المتعطشة.

تاجر علوم وأفكار.. هذه وظيفته!  
يحل معك أينما أردت، فالبساطة وهدوء  
النفس والرحمة والعاطفة تغريك بدعوته إلى أي  
مكان.

### في الأعماق

ساكتٌ ولكنه أبين ممن ينطق.  
يقنعك منطقهُ ودليله ووعيه وحفظه ودقة  
استنباطه فتصمت.

قدرته على الاستنباط أكثر إبهارًا من حافظته،  
وهذه خصيصة لا يعرفها إلا الأقربون والمتابعون،  
على حين أذهلت حافظته الآخرين فما التفتوا لنباهة  
فكره ودلائل شرحه!

يقترّب منه السلفي فيقول: اقتنعت، ويقبل إليه  
الحركي فيقول: اقتنعت.

ولذا فهو يمشي على قدميه نحو ما يقتنع لا ما  
يقتنع به الآخرون!

لمّاح متأمل.. لديه القدرة على أن يقود قاطرة  
الفكر الشرعي باقتدار، وأن يحمل الراية بحق.

لا تظن أنك ستطلب منه كل شيء في التحليل  
والبيان، وأنه متخصص في دقائق الأمور، ولكنك لو  
سألته لقلت: هل من مزيد!

تضحك أحيانًا بلا وعي وهو يُعلّق من غير  
تحضير على أحداث التاريخ أو أخبار السياسة أو  
تفريعات الأنساب!

تُحضّر له المسائل وتسهر لرصدها الليالي ذوات  
العدد فلربما خطّأك فيما قرأت وفهمت!  
وتبكي مرة أخرى بلا شعور، وهو يخطفك بآيات  
خاشعة، وأحاديث بليغة، بروح تشع بالنور، فيهزّك  
من داخلك، لتحاسب نفسك، وتسعى لآخرتك.

### أنقال

حمّال هموم، كما هو حمّال علوم!  
تقول في نفسك: من أين له الوقت وهو يعيش  
يومياً بالساعات مع العامة، ويذهب للسوق ليشتري  
حاجياتهم؟!  
ومن أين له الوقت ليحفظ عشرات الآلاف من  
الأبيات في كافة الفنون، القديم منها والحديث؟!  
وستبقى تتساءل ما دمت تجد لديه الجديد  
والجديد.

لا يعترف بالورقة ولا بالقلم.. ويدخل الحوار  
والجدال بالنعمة فحسب!

نعمة الحفظ والفهم والبديهة الحاضرة واستنطاق التاريخ ومجادلات الفقهاء.

### مذهل..!

لك أن تتجاوز حفظه وعمق فهمه، لترى خلال البر والإحسان والتواضع والإنصات والأدب والحكمة والمروءة.

من عاشره لن ينسى طبيته، ولن يملك كلما رآه إلا أن يقف مؤدّيًا التحية!

على طريقة السلف.. لا يشتغل بهوموم الدنيا ومطالبها واستراتيجياتها المعقّدة، تكفيه السيرة النبوية العطرة هداية وإرشادًا.

### يعيش عصره ويجرّب

معيشتة في صحراء موريتانيا أعطته وأخذت منه! أعطته البساطة والوفاء والكرم وشفوف الروح،

والعطاء العالمي المتواصل، والجلد وتحمل المر.  
وأخذت منه عدم القدرة أحياناً على الانفكاك عن  
العامّة، وترتيب لقاءاتهم، وتنظيم شؤونهم على  
حسابه أحياناً!

ومع كل هذا (الحسب) يزيئُهُ (النسب) فهو  
ينتسب إلى رسول الله من جهة أمه الحسنية، فلا  
تعجب إن رأيت وله بالمدينة وحبّه أهلها، والدمع  
عند ذكر صاحبها ﷺ.

قدره أن لا يكون محترقاً ولا محترفاً لرص  
الحروف في تسويق الأعمال والدعاية لها، فغيره  
يكفيه، إنما هو يُناصر بالمهابة وما يرجوه من ربه  
المعين!

### إن لم يصيبها وابل فطل

يتحدر في الحديث والإفتاء على نظام المطر!  
يبدأ كالهتان والرش الخفيف، ويخصب العقل  
بما يكفيه.

فإن رأى فلاحًا يريد الحرث تدفق عليه بوابل من  
الأدلة والشواهد والبراهين!

أمام أقرانه.. يكفي أن تقول: من حفظ حجة على  
من لم يحفظ!

فكم هدأ من مائج، وسكّن من مضطرب، وخفّف  
من هرج.

وبعلمه وفكره ووسطيته وروحانيته وعاطفته  
وإنسانيته قاد ولا زال وسيقود بمشيئة الله عشرات  
الآلاف من الطلبة والدارسين، ولعل رحمة الله قريب  
في عصر الفضاء ووسائل التقنية ليستوعبوا ويتلمذوا  
على مدرسته.

يظلم نفسه من ظن أنه بمجرد اللقاء به سيعرف  
قدرته على العطاء والبيان!

جرّبه.. وقل له: اشرح هذا الكتاب المعقد؟

وعش عشر سنين واخلط شروحه لترى - بفضل  
الله الكريم - ما يتدفق من هنا وهناك!

القرآن بقراءاته، والسُّنَّة بعلموها، والمدونات  
 الفقهية، وعلوم الآلة، وفنون الآداب،... واستمر  
 حتى تستوعب معنىً جديدًا في كل شرح!  
 ولا غرو أن تجد الجاهل والمتعالم لا يستوعبه  
 أو لا يريد!

وقطعًا تعلم أنه رغم حفظه يخطئ ويتوهم، في  
 عفوية بريئة، وإنسانية لا عاصم لها.

ورغم كل ما ذكرت..

ما يزال العلامة الددو في وسط الطريق.

وأمامه بإذن الله سنواتٌ حافلة بالعلم والعمل  
 والعطاء الصادق المخلص..

فإلى الأمام.. وإنك لمحبيك ولكوكبة وفيرة من  
 السائرين إمام.

## محمد أحمد الراشد.. أمير البيان الدعوي



هذا الرجل وددت أن ألقاه بأي ثمن!  
فهو بعيد، وبعيد جدًا عن الناس، ولكنه قريب  
من قلوبهم، حاضر في فكرهم.  
قرأت كتبه كلها، ولم أكن أدري أنني في يوم من  
الأيام سأصير الناشر لكتبه!

بعد محاولات عديدة عرفت أنه في سويسرا، بل  
على حدود فرنسا في منطقة نائية جدًا، يعيش وزوجه  
الفلبينية لوحدهما، ولديه صديق وتلميذ مقرب يقوم  
على شؤونه.

رتبت مع أحد الدعاة الذين تواصلوا معه عبر  
أحد الأصدقاء في المغرب؛ لأن في سويسرا دعاة من

المغرب العربي كثيرين، فأخبره هذا الداعية برغبتني في زيارته، فرحب ورتب الموعد يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة بالمركز الإسلامي بجنيث.

وصلت إلى المسجد قبيل الصلاة بساعتين، وطلب مني إلقاء خطبة الجمعة، فأخبرتهم أن هذا الطلب يحتاج إلى ترتيب، وأنا أستحضر في ذاتي أنني أتيت لأستفيد قبل أن أفيد!

بعد صلاة الجمعة سألت عن صاحبنا فكان على كرسي في وسط المسجد ينتظر، فلما اقتربت وقد سمع عني، رحب بي، وظنني شابًا خليجيًا زائرًا، ثم عرف أنني أنا من أتى إليه من مدينة تبعد عن جنيث ست ساعات بالقطار السريع...!

شاب يبدو أنه صغير، والسماع عنه - غفر الله لي - كبير، وتدارك الشيخ الأمر بالسؤال عن الدعاة والدعوة، فكانت إجاباتي مترادفة ومتعمقة، حتى أخبرته بسؤال الشيخ عبدالعزيز بن باز رَضِيَ اللهُ عَنْهُ،

وسمعه لكتبه الثلاثة: (المنطلق، العوائق، الرقائق) وسروره البالغ بها، ثم أكد لي أن الشيخ ابن باز بعث له يطلبه في زيارة للحج، لكن الأقدار الربانية لم تتهيأ!

نعم، إنه الشيخ والداعية الإسلامي الكبير: محمد أحمد الراشد، أو: عبد المنعم صالح العلي العزي (الاسم الحقيقي).

فرح بهذه الجلسة الأولية، ثم دعاني للغداء في أحد المطاعم العربية، وكان لقاءً جميلاً، قصّ فيه من أخبار الشباب ما يمتع، ثم صارحني بعد الغداء أنه استأذن زوجته وقد تركها بمفردها، ليبيت في جنيف ثلاث ليال، وهي إكرام الضيف. فلما رأى أنني خفيف وسهل، قال: بل نذهب إلى بيتي وتسكن معي، فحملت حقيقتي وماء زمزم الذي أتيت به هدية للشيخ.

في الطريق فوجئ الشيخ أنني أفتح دفترًا حوالي

عشرين صفحة، دونت فيه أسئلة عن تجاربه وخبراته، ومواقفه العلمية، والسياسية، والتربوية، والاجتماعية!

فبدأ الإجابة في القطار، وأنا أسجل في دفتر آخر، وكان كلما لمح منظرًا جميلًا، أو منطقة ذات بهجة قطع كلامه، وطلب مني النظر إليها والاستمتاع بها، مع تعليق موجز عن المنطقة وطبائع أهلها!

واستمر على هذا الحال إلى أن وصلنا إلى بيته الذي يذكرني بالأفلام الغربية الكرتونية القديمة!

دخلنا البيت وصلينا المغرب والعشاء، ثم أحضر لي طعامًا بيئيًا، وأراني بعض لوحاته الفنية، وكتاباته ومشروعاته القادمة. واستمر الحال بين نقاش وسرد لذكريات في غرفة مكتبته، ولم يكن بيته سوى غرفتين إحداهما للنوم، والأخرى للمكتبة، وصالة صغيرة!

عندما حان موعد النوم أرشدني إلى مكان (الحمام)، وموقع الحذاء الذي على الجدار، والعتور، وأدوات التنظيف!

ولم لا يفعل ذلك وكان وقتها في الرابعة  
والستين، وهو أستاذ الذوق والفن وجمالية الحياة؟  
قبيل الفجر أيقظني، ولم أكن قد استغرقت في  
النوم، لذهول الموقف، فصلّى بي الفجر بصوت  
رخيم، على نغم عراقي، وأداء روحاني خاشع. ثم  
قال لي بعد الصلاة: يا أخي، لقد قست قلوبنا في  
هذه الديار، لأننا ما عدنا نسمع الأذان!

أتذكر هذه الكلمة دومًا، وأتخيل معها حاله وهو  
يصف موقفه مع الأذان وصلاة الفجر الذي افتتح به  
كتابه: (منهجية التربية الدعوية)، قائلاً:

«يوم كانت المهمة تامة لم تنحت منها السنون  
بعد، كنت أجمع بعض إخواني الدعاة في جامعة  
بغداد، بعدد قليل دون العشرين كل أسبوعين؛ لنقوم  
الليل ونتلو القرآن مع درس دعوي وموعظة مناسبة؛  
ولأن الرقابة كانت هاجسنا فإننا كنا نتجاوز المساجد  
الظاهرة العامرة إلى مسجد عتيق رطب عريض

الجدران واطىء الطاقات والأقواس، بالي الفراش في زقاق ضيق قديم يسمى مسجد حسين باشا، وهو الوالي العثماني الذي بناه قبل أربعمئة سنة تقريباً، ويبدو أن يد الصيانة لم تمتد إليه آنذاك، فكان التلف ظاهرًا في أكثر أرجائه، والجص قد سقط من بعض حيطانه.

لكن أولئك المائة الرواد الذين كانوا يتناوبون الحضور أفواجاً صدروا عن إجماع جازم أنهم لم يروا مكاناً فيه البركة الربانية ظاهرة كمثّل حرم ذاك المسجد، وكان أيّ مشارك يحس بروحانية عميقة تحت تلك الأقواس، ويشعر بشعور خاص إذ هو بين تلك الجدران الهرمة يفوق تأثير الموعظة ويضاعف إخبات القلوب الذي يولده التهجد والتغني بالآي، حتى إذا أقبل وقت أذان الفجر تصدى لرفع الأذان الحاج أحمد رَحِمَهُ اللهُ، وكان رجلاً ميسوراً لكنه يسكن في غرفة في المسجد تطل على ساحة واسعة، فكان هناك إجماع من إخواني أنهم لم يسمعوا أبداً أذاناً جميلاً

أسراً مطرباً كمثل أذانه، وكان عادل الشويخ يقول:  
 يصح المبيت في المسجد ثمناً لسماع ذلك الأذان،  
 وأنا أشهد بما شهد به رَحِمَهُ اللهُ: أني حتى الآن وأنا في  
 الرابعة والستين ما أتلذذ بسماع نعمات أذان تدق  
 أبواب القلب دقاً كنعماته، وآثار أذانه في نفوس أولئك  
 الدعاة تعدل ما يرجعون به من آثار التلاوة والتهجد.

المهم، بعد صلاة الفجر، رجا مني أن أرتاح  
 ويرتاح هو قليلاً لأول الصباح؛ للإفطار، وإكمال  
 البرنامج.

فعلاً، على الثامنة أو التاسعة صباحاً أفطرننا، ثم  
 أكملنا حوارنا لحين الظهر، فتغدينا سمكاً زهريّ  
 اللون، شرح لي الشيخ فائدته، ومكان وجوده!

ثم فوجئ الشيخ بطلبي العودة إلى بلدي..!

استغرب الشيخ من هذا الطلب المُلِح، وقال: إن  
 إكرام الضيف ثلاثة أيام، فقلت له: لقد أشبعني في  
 يوم واحد.

ثم سألتني: هل زرت جنيف من قبل فهي من أجمل بلاد الدنيا؟ فقلت للشيخ: لا، هذه أول مرة، ويكفيني ما رأيت، وقد أتيت لهدف اللقاء بك، والسلام عليك، وإبلاغك تحايا المحبين، والاستفادة منك، والإجابة عن جميع أسئلتني، وقد حدث كل ذلك بفضل الله وفي وقت وجيز، هو أربع وعشرون ساعة!

لم يشأ الشيخ أن يثنيني عن طلبي، وذهب معي عبر الحافلة إلى المطار القريب من مدينته، ووجدت الرحلة المناسبة، ولما ضاق مالي لشراء التذكرة لعدم وجود العملة، سألت عن جهاز الصراف الآلي، فرفض الشيخ، وبادر بأمر عرفته بعدئذٍ، أنه نادى شخصاً للاستدانة منه لشراء كامل التذكرة، وفاجأني بذلك، وعبرَّ الشيخ عن ذلك بأنها من باب الضيافة التي لم تكتمل!

غادرت تلك الديار محملاً بحمولة إيمانية ودعوية وفكرية عظيمة، ومجالسة تضيء في النفس أسراراً عذاباً!

نعم لست من نوع المريدين والمقدسين، ولكنني  
- غفر الله لي - من المتواضعين أمام أرباب المقامات  
العالية.

بعد أقل من عام اشتقت للشيخ واشتاق لي،  
وربتت الزيارة له بحب كبير، وعند وصولي للمطار،  
تمّ إيقافني ومنعي واحتجازي على ذمة التحقيق  
خمسة أيام، وبعد فحص الحقيبة وجدوا كتبًا ثقافية  
عامة، وشريطًا للقرآن!

فاعتذروا لي، وتذرعوا بالخطأ الذي اشتهرت به  
كل سلطات الدنيا، وما كانت سوى أخبار الكذب،  
ومعلومات الملفقين!

وما كان الشيخ يدري بحالي وإيقافني، حتى  
توالت اتصالاته هنا وهناك، فعرف الخبر، وأدرك  
أنني صاحب رسالة!

بعد أول لقاء به وسماعه خبري، حكى لي قصة  
عجيبة له في دولة خليجية كان يعمل في إداراتها

الحكومية، عندما سجن فيها، ووضع في غرفة تفتقد أبسط ألوان المعيشة الإنسانية، وأعطوه حصيراً نتناً، ووسادة بها رائحة الجيفة!

وعند خروجه من هذا النكد وتلك الغرفة غير الإنسانية، سأل الشيخُ المحقق: أنتم تعرفون أنني ممن يدعو إلى الوسطية والاعتدال، وأكتب للشباب أن يهتموا بالحضارة والفن، وأسترسل بذكر الآداب والذوق الرفيع، أفيعقل أن يكون من يتكلم عن هذه الدقائق الذوقية والراقية داعية يدعو لغير السلام؟ فقال له المحقق: نعلم ذلك جيداً، ولهذا سجنَّاك!

لقد وُجدت نغمة بوليسية آنذاك تستوعب أن إرشاد الشباب لفهم الحياة، بل صناعة الحياة، وتهذيب النفس ورقبها، سيعمق فيهم العمل للإسلام، والدعوة إليه، والحرص على نشره أمراً، والدعوة نهياً عن المنكرات، وما يخدش الذوق

والأدب، فضلاً عن ترويح ما لا يرضي في ساحات  
الحياة!

وامتدت الأيام فصار بيننا العيش الطيب الكريم،  
والاهتمام الأبوي الحاني، وأكرمني الكريم بنشر  
كتبه الجديدة كلها، والعناية بها، ومراعاة صحته،  
والحرص عليه.

وزدنا على ذلك في لقاءات المؤانسة الأكل من  
طعامه في داره من أكلة (الدولما) العراقية الشهيرة،  
والأكل في داري من السمك الذي ينحني ظهره  
لتذوقه!

وقد حصل أن داعبنا مرة، وقد كان على طاولة  
الطعام ببيتي الدكتور طارق السويدان، أن قال له  
الدكتور طارق: يا شيخ، لماذا لا تمتنع عن بعض  
اللحوم إن كانت ستؤثر عليك وعلى صحتك؟

فقال له الأستاذ الراشد: أفعل هذا يا أخي، ولكن  
مثل هذه الولايم عند أهل القبائل لا تعترف

بامتناعي، ويعدونها عدم رضا بطعامهم، فماذا  
نفعل؟!!

وفي ذات الجلسة تحدث د. طارق عن مهارات  
القائد، وأن صفة الكرم ليست واجبة كما يقرر علم  
الإدارة الحديث، فقرر الأستاذ الراشد غير هذا من  
خلال وقائع التاريخ، وأحوال العرب التي يجيد  
أسانيدها ودلائلها.

ثم خرج الأستاذ الراشد يبشر بوعي متكامل في  
سيرة الدعوة، وجعل من أربابه أبا محمد، الدكتور  
طارق السويدان.

## خلدون الأحذب.. المعلم بحق

أول ما عرفت هذا الإنسان الوقور، العالم المفكر، الواعي المتقن، كان عند حضوري مادة الثقافة الإسلامية (٣٠١) في جامعة الملك عبدالعزيز، مع طلبة كلية الطب في المرحلة المسائية.

محاضر كبير السن، مشبوب العاطفة، يتحدث واقفاً طوال المحاضرة، ليس بيده ورقة ولا قلم، يتكلم ويفكر في آن واحد!

تجد أن الأفكار التي يطرحها، والرؤى التي ينثر لآلئها، هي نور من الله، وفتح لأوليائه.

يتكلم من أعماق الفكرة المطروحة، حتى تصل لدرجة الإقناع واليقين.

وقد شدني لسبيين:

**الأول:** أنه يتحدث بلغة سلفية المشرب، من تصحيح الأحاديث الشريفة وتوثيقها، والتأكيد عليها، وعمق النظر في معانيها ودلائلها.

**الثاني:** نَفَس العالم المستوعب، الذي يرقى بمن أمامه، كأن شيئاً لا يشغله إلا هذا الدرس والارتقاء بِمُحَاضِرِيهِ.

في نهاية أول لقاء في المحاضرة زال عجبي عندما ذكر اسمه لنا، وفي وقت ساعاته المكتبية.. قال لنا: أنا أخوكم خلدون الأحذب.

وَنِعْمَ هذا الاسم الكبير.. نِعْمَ العَلَمَ العَلَّامة المحدث المفكر الشيخ الدكتور: خلدون محمد سليم الأحذب.

زال عجبي في نهاية اللقاء؛ لأنني قد قرأت كتابه (سوانح وتأملات في قيمة الزمن).

نعم.. لقد لخصت الكتاب، ووزعته، وألقيت مضامينه في دروس شبابية كثيرة.

تحسُّ أنه يهتم، ويبذل كل ما يمكن ليقرأ  
الشباب، ويرتقوا.

ثم إنني وجدت عجبًا عندما طلب منا كتابة بحث  
في المادة.

دلنا على المصادر والمراجع في مكتبة الجامعة،  
ومظان وجودها، مع أوراق مصورة عن الأسماء  
مكتوبة، والأرقام حسب ما هو مسجل في فهرسة  
المكتبة.

حقًا إنه شخصية نادرة في تعلم الإتقان وجودة  
الأعمال.

حصل أن كنا في قاعة المحاضرات الكبرى  
بكلية العلوم، وقدم أحد الطلاب بحثه، فإذا هو قليل  
الصفحات، غير منسق الشكل، فنظر الدكتور خلدون  
إلى البحث، ورفع أمام الطلاب، ثم وضعه على  
الطاولة، وقال أمام الجميع: هزُّلت!!

فهزت هذه الكلمة الحاضرين.. نعم، إننا أمام

طريق واحد للنجاح والتفوق، (الإتقان) وليس ثمة شيء آخر بديل عنه!

ومرّت السنوات وأنا أحتفظ في ذاكرتي بهذه القامة العلمية الكبيرة، ووصلت إلى قناعة مفادها: أن من أراد الله به خيرًا جمع معه وبه الصالحين.

وبعد سنتين من التخرج، وأثناء وجودي في معهد البحوث والاستشارات في جامعة الملك عبد العزيز موظفًا بوصفي باحثًا علميًا، وكنت أفكر في طباعة رسالتي (كنوز الحسنات)، بادرت مباشرة للذهاب إلى مكتبه في كلية الآداب التي كانت مقابل المعهد الذي أعمل فيه.

وأراد الله خيرًا، إذ لقيته مباشرة في صحبة صديقه الأثير الدكتور عبد اللطيف الصباغ، والشيخ المرحوم بإذن الله الدكتور ناجي عجم.

سلّمت على الشيخ خلدون، وبقية مشايخنا الأحبة، وقدمت له رسالتي (كنوز الحسنات) قبل طباعتها ليبيدي رأيه الحديثي فيها.

حدد لي موعدًا ولم يخلف رغم كثرة أعماله،  
فهو أستاذ المواعيد.

وقدم لي ملحوظة واحدة في عبارة كتبت خطأ  
مني، فشكرته عليها، وعلى تقبله النظر في الرسالة.  
وقد بارك الله في هذه الرسالة - كنوز الحسنات -،  
وطُبعت أكثر من عشرين طبعة، بعدة لغات، ونُشر  
منها أكثر من مليون نسخة - والحمد لله -.

وبعد طبعها ذهبت بعدة نسخ للشيخ خلدون في  
مكتبه، وفرح بها، وبطريقة طبعها، خاصة أنني  
أشدت بمراجعته العلمية للرسالة.

دار بيننا حوار قصير، ذكّرت فيه بدراستي مادة  
الثقافة الإسلامية (٣٠١) عنده، واطلاعي على مؤلفاته  
واهتمامي بعطائه.

وفي ذات الجلسة عرفت أكثر أنني أقرب منه  
في النظرة الاجتماعية، فقد عشت في سوريا التي  
وُلد فيها، وهذا مما قَرَّب النفوس، وهَيَّج الذكريات!

وفي لقاء آخر معه في ذات الجامعة، كان ثمة قريب له فيما أتذكر تأخرت إجراءات التأشيرة الخاصة به، فسَهَّلَ اللهُ بتيسير الأمر عن طريقي.

وإذا بالرجل يُظهر وفاءه ونبله وتقديره لفعل المعروف ولو كان صغيرًا، فحمل على يديه كتابه الموسوعة الضخمة (زوائد تاريخ بغداد) في عشر مجلدات إلى مكنتي بالجامعة!

سأل عني بعد صلاة الظهر، وكنت في مكتب مدير شؤون الموظفين، أتابع معه بعض الأمور، وما إن عدت لمكنتي إلا قال لي أحد زملاء: زارك شيخ كبير ووضع أكياسًا ثقيلة...

تعجبتُ!! من هذا الذي زارني في مكنتي، وعلم حبي للكتب فأتى بها من غير طلب؟!!

فتحتُ أحدها وعلى طرفه رسالة صغيرة في بطاقة جميلة، مكتوب فيها الإهداء لي مع الشكر والتقدير وخالص المحبة والود والدعاء، ثم اسمه الكريم (خلدون الأحذب).

بادرته مباشرة بالزيارة لمكتبه وشكره على معروفه وتفضله بهذا الإهداء، وتواضعه الجم وحمله لرسالته العلمية الضخمة بنفسه.

ثم في آخر اللقاء دعاني لزيارته في داره العامرة، وأن ثمة طلبة من خيرة الدارسين النابهين يقرؤون عليه كتاب (الباعث الحثيث) في مصطلح الحديث. فشكرته على الدعوة، ولبيت الطلب، وامتد هذا اللقاء الأسبوعي لسنين وسنين، وكان آخر ما أقرأه في مجلسه العلمي هذا: (الموطأ) للإمام مالك.

ومنح الشيخ الحاضرين خلاصة علومه، وفهومه، ودقائق نظراته، فوجدته قد حقق رجائي في أمور ثلاثة، أغناني بها عن كثير سواه:

**الأول:** رصانة البحث العلمي، وقوته، والتمحيص الدقيق، والصبر الطويل للوصول إلى النتيجة.

**الثاني:** الذوق الرفيع، والدقة، والأناقة، والجمال، فهو آية في حفظ المواعيد، والحرص على جمال

المكان، وحسن الترتيب، فكل كتاب في مكانه، قبل اللقاء وأثناءه وبعده. وأشهد أنني رغم زيارته عشرات المرات والمرات يبهرني فيه وفي مكتبته وداره الترتيب والأناقة.

**الثالث:** سعة المعارف الثقافية، فلا يكاد لقاء يخلو من طرح كتاب، أو تحقيق، أو مشروع علمي، قديمًا أو حديثًا، حتى لتكاد أن تقول إنه متخصص في المصادر والمراجع لجملة كبيرة من العلوم والمعارف.

نعم لقد وجدت ضالتي، وحمدت ربي على هذه النعمة.

ومرة أخرى أكرر ما آمنت به من قناعة: إذا أراد الله بعبده خيرًا جمع الله معه وبه الصالحين.

ويا سبحان مقدر الأقدار!!

قبل تقاعد الشيخ من الجامعة، عرضت عليه أن يكرمني بالإشراف على الرسائل الجامعية،

والتأسيس للجامعة التي طرحتُ إنشائها مع ثلثة من كبار أهل العلم والفكر داخل المملكة وخارجها وهي (جامعة مكة المكرمة المفتوحة) - للدراسات العليا - . سمع الشيخ مني الفكرة كاملة، وبكل تفاصيلها.

فاستخار الله تعالى، ووجد نفسه منسرحًا للفكرة. وامتدَّ اللقاء بيننا - بفضل الله -، وتواضع كما هو عهده لأكون رئيسًا للجامعة، وهو عميد لها. ودامت اللقاءات أسبوعيًا في جلسات الجامعة، ما بين حوار عن المجلس العلمي، وواقع الطلاب، ووضع المنح، مع مشاريع مختلفة، وفوق ذلك وأهم من ذلك حال أسرتي وأسرته، وحاله وحالي.

وكان له - بعد فضل الله - السبب الأكبر في بلوغ (جامعة مكة المكرمة المفتوحة) المكانة عند علماء الأمة الكبار في مشارق الأرض ومغاربها، وغدت موضوعاتها مثار حديث عند المهتمين والمتابعين،

بل أقول: وموقف سكوت وقبول عند المعارضين وشبه الحاسدين! وقد ضمّت الجامعة بين جنباتها (ثلاثة عشر) تخصصًا، بعضها مما تميزت به واستقلت.

ولا يزال هذا العَلم الكبير - د. خلدون الأحذب - موردًا لي بعد الله، في المناقشات الثقافية المتجددة.

وإن كان الله قد أمدني بتوفيقه وكرمه ولطف عنايته للاستفادة من الدكتور خلدون في الجامعة، فالأمل فيه تعالى أن يوفقني لإخراج مكنوزاته العلمية التي تنم عن فكر عالٍ، وثقافة نادرة، وتخصص حديثي متقن، وأصالة منهجية عميقة، وذلك عبر عدة مؤلفات ودراسات وكتابات، بدأت تخرج للنور، والمستقبل للباقي من الأهم آتٍ بإذن الله.

وما حرصني هذا إلا لإيماني بما حباه الله من

سعة معرفية ثرة، وموسوعية ثقافية متنوعة، وحصيلة علمية وواقعية ضخمة، وأصالة منهجية محررة متقنة.

ولكل من دعا معي وأمنَّ على دعائي بأن تخرج هذه المكنوزات للناس، الأجر والثواب، والنفع بما سيقراً!

## سلمان العودة وحيوية المفكر

### تعريف غير رسمي

لا مزايدة على تتلمذ عشرات الآلاف في أصقاع العالم على يدي هذا الإنسان، ومن لسانه الذي ينطق بالعلم ويقطر بالحكمة التي استقاها من الهدي النبوي. قد تكون العاطفة الهادرة هي التي قادتهم، ولنعم العاطفة في زمن مزج فيه هذا الإنسان «بلوغ المرام»، بالدرس العام، و«الخواطر البيئية»، بالحلقات القرآنية الفجرية..

في السُّلم المتقدم للصحة المتوسطة، أو في عمرها الثاني، وفي أوجها في عمرها الثالث أو الرابع. نعم لا مزايدات؛ ولذا من الأولى ألاّ تنتظر حكايات الصّحويين أو «المُتصّحيين» عما سيقال!

لا يهم أن يقرأ المنتسبون للفكر الإسلامي أو المتحررون عنه ما سيؤول إليه الكلام.

ولا يهم أن تضم هذه الكلمات في سجل الفارغين الحاسدين، أو الناذرين أنفسهم جمع الحسنات له إلى يوم الدين، المهم أن تملي الروح وأن ينبض القلب.

ولو أرادت النفس أن تبرهن عن منهجية بحثية لما عجزت، والتاريخ يشهد! ولكنها تعجز اليوم وبكل تواضع أن تملي على الروح شيئاً.

إنه باقتدار، ولربما بحركة أصبع، تجتمع لديه الصفحات لتصاغ الأفكار، أو تحتشد المعلومات؛ لتحلل السنوات والساعات!

### أبواب وأبواق

المتحدثون ملأوا الساحات، فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر، وهو ممن ينتظر!

دروس متفتحة، آفاقها واسعة، أفكارها عالية،

لا سلامة مطلقة في مآلاتها، ولا آراء حاملة في تطلعاتها، ولا أيديولوجيات في ردهاتها، إنما العلم للعلم، والفكر للفكر، والدعوة للدعوة، والحياة للحياة، والحق للحق.

اختلفت الأساليب وتباينت، لكن ليس في يوم منها صراخ، أو استيراد لفكر فرد أو مؤسسة أو طائفة أو جهة!

إنما يدعمها القويّ - جل جلاله - بقوته، ويمنحها القبول، ويغشاها باللفظ والرحمة.

أبواب مفتحة.. في هموم الناس العامة والخاصة، وشؤون الأمة الكبرى والصغرى، وفقه المرحلة وتدريب الصحوة..

خطاب قدّر له أن يكون عالميًا، ورضي أن يكون متواضعًا في المشاريع دون حصر أو احتكار أو توظيف وهمي!

حالة وعي حقيقية، ولربما طغى التلاميذ فترة

فلم تتح فرصة كافية للجلوس مع الآخر أو الغير كما  
 يتمني د. فاروق حمادة!

### ساحات لا مساحات

لا وقت له للمهاترات، ولا سبيل عنده  
 للمشاحنات، ولا فكرة لديه قابعة للمغازلات  
 الحزبية!

سبق - وقلائل مثله - زمانه وأقرانه فهماً للواقع  
 وتفهماً للمستقبل وعملاً له، واستمراراً في كسب  
 ساحات الحياة، على الصعيد المعرفي والمحلي  
 والدولي.

ومع ذلك قد تكون هذه الساحات على امتدادها  
 وضخامتها وقيمتها ليست وصفاً دقيقاً لحالة ووعي  
 متقدم شابه بعض الحذر!

ولحكمة أرادها الله تأجلت مساحات اللقاء  
 الفكرية، وطبيعة المنشآت الصحوية، وسبر أحوالها  
 من خلال الاقتراب بقياداتها.

هنا.. تقاطعت ساحات التوسع بمساحات  
التفكير، فاقتضت مراحل زحف جديدة!

### الحياة كما أرادت!

كل الناس يغدو... فمريح نفسه أو متعبها.  
الكل في الحياة يعمل ولو كان في غيبوبة،  
فالذين حوله لا يعملون إلا لأنه يعمل!  
هناك مشيئة ربانية ماضية لا نفاذ لغيرها.  
وهناك قوانين لا مبدل لها، ولن تجد لها تحويلاً.  
هكذا أراد، وهكذا أرادت!

أراد العطاء محلياً وعالمياً، أراد النصر صمتاً  
وجهرًا، أراد الحقيقة رخيصة أو ثمينة، أراد الطريق  
الطويل في ليله ونهاره، وصيفه وشتائه، وحلوه  
ومره...

أراده بحب ولو كانت القسوة تلمع في الطريق،  
وأراده بحكمة ولو ثارت الرياح مرة.

إنه سجل عطاء... يسترق الفكر من حفيف ورق  
 الشجر، وحركة النمل، ونضج الخبز في الفرن!  
 المحيطون لا ينبغي أن يكونوا محبين، المهم  
 القليل الذين يبدو منهم خدمة الدين والعمل للنهاية!  
 احترام العطاء... وضبط الأوقات، وتفعيل  
 الطاقات، وتربية الذات، زحفت به في ميادين الحياة  
 التي لم تقف ولن تقف.

لا يريد أن يرى سلماً أو كرابجاً أو شمعاً أحمر،  
 لكنه كان يدرك تماماً أن للحق آهات كما أن للموت  
 سكرات وهو مستعد بإذن ربه وإلى أن يشاء الله  
 للقاءين!

يغضبُ وربما رجوتَ ألا يغضب!؛ ولأنه اختار  
 نفسه أن يبقى طول الخط حليماً، اختاره المثل  
 نموذجاً: اتق غضبة الحلیم!

نعم قد يبدو أنه لم تدخل قصائده الشعرية في  
 دوائر النقّاد الأديبين، وسجلات الأكاديميين، ولكنها

قد تقف لتخلد كالتمثال أمام قارئها أو كاتبها، لأن  
العبرة في المآل قد تكون في المقاصد لا في ظاهر  
النص!

قد لا يدرك الكثير بل حتى بعض المقربين أنه  
يتردد!

فالأمر ليس في التخطيط وضبط المسير، إنما  
فيما تلده الأيام، وموقفه تجاهها، تجاهلاً أو تفاعلاً!  
يتزامن مع الحياة بلا خجل، ويتوغل بفهم،  
ويبادر بحظ!

قد تكبر في خلايا دماغه الأفكار، ولكن صفاء  
النفس، وإيمان القلب لا يسمحان لأجهزة تحليل  
الكلمات أن تثبت عموم نتائجها ولو حلفت ألف  
مرة.

## أغوار

روح المغامرة جزء أساس من شخصيته، ولكنها  
المغامرة العفوية.

هي هكذا خلطته الخاصة!

توسوس في فكره قضية التفرق والتعددية،  
وتبادل الكلمات المجانية عن هذا وذاك، وهؤلاء  
وأولئك!

لو فتحت سجلّ مواعيده لوجدتها واضحة  
وضوح الشمس.

محاضرات، دروس، مقالات، شفاعات،  
مبادرات، مؤتمرات، مراجعات...

ماذا يريد؟

لا يريد أن يخرج ولن يخرج ولو أغواه ابن باز  
أن يترك سلفيته، ولن يتزحزح عن مقعد التعليم  
والتفكير فهي بضاعته الأولى ومنتجه الأوفر!

تعقيدات الحياة جعلته يميل للبساطة والعفوية،  
لذا لن تخطئ عينك عبارة (الأنانية، الذات،...) في  
كثير من مقالاته.

مشحون بالعاطفة التي تهديها إليه روحانية الليل،

ونسلمات الشفاعة، وأغاني الشعراء من ذوي التراث  
أو من سدنة الحداثة أو اللاشيء!

له حساباته الخاصة.. نعم، كما أن لكل صاحب  
شركة تريد أن تكون عريقة حساباته، ولكنها في  
رسالتها ورؤيتها وأهدافها واضحة، وتبقى آلياتها!

صريح لدرجة تقول فيها لا يداري ويداوي  
لدرجة تقول فيها يهاب!

لكنّ هذا وذاك يعود لعقلية الأيام والمواقف.

قد يعيش مع طائفة فيمتزج بينهم، وقد يعيش مع  
آخرين فيعتزل شعورياً، وقد لا يعيش مع أحد منهم!  
قناعاته شبه مقدّسة، فالأيام والمواقف وجلسات  
الحوار علمته.

يعتذر أو يظهر ببراءة وجهة نظره، ولكنه لا يفكر  
ويتحاور ليجادل نفسه.

ولأنه إنسان قد توافقه فتقدّره، وتخالفه ولكن  
تحترمه.

ومبادرته ورؤيته الحديثة لمشروع قد تشغل وقته،  
وتحرق طاقته الإيمانية وقوته النفسية وعلاقته  
الوطيدة وفريقه الجاد.

يتمتع بالجديد، ويلهو بالجميل، ويأنس بالمرح  
المريح!

### هل هو عالم أم شيخ أم مثقف؟

وقد تتساءل لتجيبك محاضراته ودروسه  
واجتهاداته ومتابعاته التي لا غبار عليها إنه كل  
ذلك.

يصنع الأحداث كما يراها، فليس شرطاً أن  
يقبل مغازلة النفس، وطرح القضايا الحساسة في  
الأمة في اللحظة نفسها، وبالحماسة نفسها،  
فالحسابات تسندها سياسات؛ لأنها في الأخير  
كلماته ومواقفه!

إن شئته صحويّاً فهو في المقدمة، وإن شئته رجل  
عامّة فهو في الصغيرة والكبيرة.

## إلى أين؟

مصيره حتى هو لا يعرفه!

الأيام حبلى، وإنما يحمل معه قناعاته فقط، التي  
أهدتها إليه الأيام.

فهو يريد الجديد والمفيد؛ لأنه جرب ما لم  
يجربه الغير، وتجاوز المبتدئين..

ولكن الأقدار وحدها هي التي لا نفاذ لها.

والحكمة ألوان، والأيام دول، والمتغيرات  
تحولات، وهو بين كَرٍّ وفَرٍّ، فقد يلام وقد لا يلام،  
لأنه بشر غير معصوم!

## د. راتب النابلسي.. العالم المستبصر في زمن المحنة

يدخل موقعه الشخصي يوميًا قرابة المليون زائر، ويحتمل دروسه ومحاضراته يوميًا أيضًا قرابة مليون متابع. وهو عدد هائل يدل على الإيمان بما يقوله الشيخ ويدعو إليه.

فَسَّر كتاب الله في خمسة وثلاثين عامًا بلا انقطاع، وسيطع تفسيره في قرابة (٢٨ مجلدًا).

قال عن تفسيره وأسلوبه (د. أحمد نوفل): «كنا نقول لم يوجد بعد الشعراوي من يقرب القرآن للناس بأسلوب ميسر محبب، إلى أن جاء الشيخ النابلسي».

واحد من علماء الأمة الذين لم يرفعوا صوتهم، ولم يبالوا كثيرًا بالشد والجذب للإقناع، إنما اعتماده

على القلب الحي، والأمانة في إعداد الكلمة الصادقة المحررة، والأسلوب الذي يفتح به الفتاح سبحانه على من يشاء من عباده.

لا غرو أن تجد أعداد جماهيره التي تحضر محاضراته في أوروبا كتلك التي تحضر له في المسجد الأموي، والذين يصل عددهم إلى عشرين ألف مستمع ومحِب. (إنه فضل الله وحده)؛ ولأن للعلماء الثقافات مكانة، وأيُّ مكانة، في قلوب الناس، فإنهم كما انتظروهم في جذباء الحياة ليهذبوا نفوسهم، ويخففوا من جحيم الخطايا المستعرة في قلوبهم، فإنهم بحاجة أكبر لهم - بعد الله - عند اشتداد المحن، وانتشار الفتن، والامتحان في الابتلاء الصعب.

ولأن العالم القرآني (د. النابلسي) أحد هؤلاء، ولأن الأزمة السورية مما لم يأت له مثيل في العصر الحديث، انتظر الناس صوت الشيخ النابلسي وموقفه، وهم طالما سمعوا تفسيره للآيات التي

تدعو للتمسك بالحق، وطالما أدمع عيونهم للثبات على الحق. فكان ماذا؟!!

١ - كان الشيخ النابلسي منذ اللحظة الأولى مطالبًا النظام الحاكم في سوريا بالسماع لمطالب الناس، وتحسين الأوضاع في البلد، في خطبة مشهورة (موجودة في اليوتيوب) بكى فيها الشيخ وأبكى. وهي الدموع التي تعبر عن الكثير والكثير مما يُخاف منه، من نظام لا تزال يده الباطشة لم تجف من دم الأبرياء، وسحق الفضلاء في أقبية سجون تدمر. وكان الشيخ واحدًا ممن قرأ رواية (القوقعة) التي فجرت كيانه من الداخل.

٢ - بعد الشهور الأولى من اندلاع الثورة السورية كتب الشيخ بخط يده بيان علماء سوريا من الأزمة بحضرة عدد من العلماء، فكان من بينهم من تطوع وأرسل نسخة من البيان إلى الجهات الأمنية؛ حيث وجدها الشيخ النابلسي صباح اليوم التالي للاجتماع فوق طاولة مسؤول أمني!. وعند سؤال الشيخ عن

البيان الذي قرر فيه وجوب العدل والرحمة ومناصرة المظلوم، وإيقاف الاعتداء على الحريات، وفتح الباب لمشاركة الناس في مسارات الحياة بلا خوف أو تخوف، كان جواب الشيخ بكل وضوح: (هذه قناعتي!!).

٣ - وبعد هذا الموقف تم سحب جواز سفر الشيخ، ومنع من السفر، وأظن أن هذه الرسالة واضحة وكافية، وإجابة لما يراد من الشيخ أن يعلمه ويعمله. ولكنه أصر على أن يتذرع بالصبر، وألا ينطق بكلمة تؤيد الظالم، وتُسوّغ له جرائمه. وهذه الحال لمن استشعرها في ظل نظام لا يرحم، بل إن فجوره جمع جرائم التاريخ في سجلاته يجعل مثل هذه المخاطرة جدُّ ثقيلة على النفس، لكن نفس الشيخ النابلسي أبيةٌ عصيَّةٌ على التهديد والوعيد، فسار الشيخ في طريقه الذي رآه يرضي الله ويتسق مع ما دعا الناس إليه من قبل.

كان وضع الشيخ النابلسي في صمته حينًا من

الوقت، وكانت أجواء متابعته أمرًا يُقدر، وموقفًا يُسجّل. والبطولة الكاملة ليست في أن تقول الكلمة وتقاد للقتل بعدها فحسب، بل أن تقول كلمة الحق وتسجلها، ثم تتبع الحكمة والصبر، لتقول مثلها وأكثر منها في أقرب وقت؛ لتكون الدافع لنصرة الحق، وتثبيت أهله. ففي فترة الهرج والمرج قد لا يعرف المرء ما هو أولى وأوجب، إلا من وفقه الله وسدّده وبصّره.

٤ - بعد أن يسّر الله وحده خروج الشيخ من بلده، بطريقة استثنائية، لم تُرض الكثير، أعاد الشيخ ترتيب أوراقه وأحواله، فالمهموم والمكلوم من بني الإنسان يمر بحالات وابتلاءات تتطلب التمسك بحبل الله، ليربط على قلبه.

٥ - ومنذ أن فتح الباب للشيخ خرج مناصرًا قضية إخوانه في سوريا بأسلوبه وقناعته، مع وضوح كاف، فشهدناه في قناة الجزيرة، وتابعناه يوميًا في صفحات (الفييس بوك وتويتر)، يناصر أهل الشام

ويدعو لهم، ويقرر بالآيات والحكم الهادية آيات الله ونواميسه في الكون، وأحوال الظالمين.

**٦ -** واليوم وبكل تماسك نفسي، وعون من الله الكريم، نجد الشيخ هنا وهناك في دروس متتالية، يدعو فيها لنصرة الحق وأهله، وبيان آيات الله في النصر والتمكين، وهي رسائل من أعماق الأعماق تؤدي فعلها في النفوس الطامحة، وتربط بين سلسلة التضحيات التي تتشابك، كل في ميدانه، وما قدره الله له.

**٧ -** كان أسف الشيخ كبيرًا على شيوخ باعوا دينهم بعرضٍ من الدنيا قليل، ولم يجد لهم عذرًا في تسويغ الظلم للظالم، فيد الله باطشة على من تولى وكفر، وأيد الظلمة المجرمين.

**٨ -** من لطيف حكم الشيخ النابلسي في الثورة السورية قوله: «لقد طالت الأزمة السورية وتوسعت، بعكس ما كان في بقية بلدان الربيع العربي؛ لأن الله أراد لأهل الشام أن يكون البلاء شاملاً، والأجر

واسعاً». وكان الصمت الذي رضوا به طويلاً، لم يكن ثمنًا للتكفير عنه إلا الهم الثقيل، الذي يعقبه النصر الكبير.

٩ - ظن النظام الوحشي البعثي الكافر أن تجربته في مجزرة حماة وما أعقبها من حُكم دام ثلاثين عامًا، هو نفسه الأسلوب الذي سيعامل به أهل الشام اليوم ليظفر بثلاثين عامًا قادمة!. ولكنه غفل أن سوريا الصمت تحولت لسوريا الغضب، وأن الشيوخ المعممين الذين أرخصوا خطبهم وفتاواهم للنظام ركل الناس عمائمهم، وأصغوا لنداء الحق والحرية والكرامة، واستعادت الأجيال طهر الحياة، وارتفعت الأدعية في السجود من أفواه الشباب الذي آمن بأنه: «يا الله ما لنا غيرك يا الله».